مَتْنُ أُرْجُوزَةِ

عُمْدَةِ الطُّلَّبِ

بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبِ

أَوْ

«أُرْجُوزَةُ الْآدَابِ»

نَظْمُ الْفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ

عَبْدِاللَّـهِ بْنِ مُحَمَّد سُفْيَانَ الْحَكَمِيِّ

رَاجَعَهُ وَقَرَّظَهُ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ

مُحَمَّدُ سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنِ عَبْدِالْوَدُودِ الشَّنْقِيطِيُّ

نَفَعَ اللَّـهُ بِهِ

قَدَّمَ لَهُ

مَعَالِي الدُّكْتُورِ الْفَقِيهِ

صَالِحُ بْنُ عَبْدِاللَّـهِ بْنِ حُمَيْد

عُضْوُ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَرَئِيسُ مَجْلِسِ

الشُّورَى وَإِمَامٌ وَخَطِيبُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وَمَعَالِي الدُّكْتُورِ الْفَقِيهِ

عَبْدِاللَّـهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُطْلَقِ

عُضْوُ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَعُضْوُ اللَّجْنَةِ

الدَّائِمَةِ لِلْإِفْتَاءِ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحكميّ ، عبدالله محمد سفيان

عدة الطلب بنظم منهج التلقي والأدب أو « أرجوزة الآداب » .

عبدالله محمد سفيان الحكميّ - الرياض ١٤٢٧ هـ

٧٩ ص ؛ .. سم

ردمك : ٧ - ٧٧٣ - ٥٦ - ٩٩٦٠

١- الاسلام والعلم ٢ - الآداب الإسلامية . العنوان

ديوي ٧ ، ٢١٩ ١٤٢٧/٦٢٣٥

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٦٢٣٥

ردمك : ٧ - ٧٧٣ - ٥٦ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تَقْرِيظٌ

بقلم شيخنا العلّامة الشيخ: محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود «عدُّود» الهاشميّ الشّنقِيطِيّ أمتع الله به، وذلك بعد أن عُرضت عليه في صيف عام ١٤٢٦هـ.

كَمْ مِن يَدٍ لِلْحَكِمِي لَدَيَّ لَمَّا تُشْكَمِ[1]
سَيَّرَ لِي أُرْجُوزَةً كَالنُّورِ فَوْقَ الأَكَمِ[2]
كَانَتْ لَهُ مَحْجُوزَةً لَمْ يَسْبِهَا قَبْلُ كَمِي[3]
بِـ «عُدَّةِ الطَّلَبِ» قَدْ نَظَمَ شَمْلَ الْحِكَمِ
مَا الْبِيضُ[4] فِي رَوْضِ الْحِمَىٰ كَبَيْضِهَا الْمُرَكَّمِ

---

(١) لَمَّا تُشْكَم: لَمَّا تُجْزَ، من شَكَمَه يشْكُمُه شَكْماً - بضم الشين، أي جزاه.
راجع «مختار الصحاح»: ص (٣٤٥ - ش ك م).
وفي حديث مرسل أخرجه الشافعيّ في مسنده برقم (١٥١٨) باسناده عن طاوس مرفوعاً قال: احتجم رسول الله ﷺ، وقال للحجّام: «اشْكُمُوهُ»، أي اعطوه أجره.

(٢) الأَكَم: جمع إكام، والإكام: جمع أَكَمَة، وهي الرابية.
راجع «النهاية»: ص (٤٥ - أكم).
ويطلق - كما في «اللسان» (٢١/١٢ - أكم) على كل ما أشرف من الأرض وارتفع.

(٣) كَمِي: الكَمِيّ، هو الشجاع، سُمِّي به؛ لأنه يتكمّى في السلاح، أي يتغطّى به.
راجع «العين» ص (٨٥٤ - كمي).

(٤) البيض: وصف لمحذوف، أي الإبل أو النوق البيض.

كَمْ أَبْرَدَتْ مِن نَظْمِ تَعْـ.....لِيمٍ بَدِيعٍ مُحْكَمِ
فَصَارَ مُنذُ بَرَزَتْ مَن يَنتَشِقْهُ يُزْكَمِ[1]
تُصْمِي[2] الْمُعَارِضَ لَهَا بِصَمَمِ وَبَكَمِ
فَاللَّهُ يَجْزِيهِ جَزَا.....ءً لَا يُكَالُ بِكَمِ

---

(١) أجد حرجاً شديدًا من شرح المراد من هذين البيتين، ولكن لكثرة السؤال عن ذلك أقول:
مراد شيخي رفع الله مقامه: أن هذه الأرجوزة لما برزت أي ظهرت للوجود أبردت كل ما سبقها من النظم المحكم في هذا الباب، فصار من ينتشق هذا النظم يصيبه الزكام، وهذا من الاستعارات البلاغية التي تحتاج إلى تأمل، والمعنى أن هذه الأرجوزة فاقت ما سبقها من المنظومات في آداب الطالب، والله المستعان، والسبب أن المنظومات في هذا الباب ـ حسب اطلاعي القاصر ـ قليلة موجزة كمنظومة اللؤلئيّ، وأجمع ما وقفت عليه «المنظومة الميميّة» لشيخ مشايخنا الشيخ العلّامة حافظ بن أحمد الحكميّ رحمه الله تعالى، وتقع في نحو ٢٥٠ بيتاً.
وأنا لم أقتصر على الآداب وحدها في هذه الأرجوزة، فقد ضممت إليها ما يتعلق بالمنهجية في الطلب، وشروطه، وعوائقه، وغير ذلك.

(٢) تُصمي: أصل «أصمى» من أصمى فلان الصيد: إذا رماه فقتله مكانه.
راجع «معجم مقاييس اللغة»: ص (٥٥٢).
والمعنى: أن هذه الأرجوزة تصيب المعارض لها بما ذكره الشيخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

كم من يدٍ للعلمِ لديَّ لها تشكّرُ
سيقرأ أرجوزةً عالتنوير فوق الأكرم
عانت لدى محبوزة لم تنسها قبل تحي
بغيةَ الطلب قد نظم نمل اليراعم
ما البيضُ في روض الهدى تحيضها المزعم
كم ابردت في نظمه ..... سليم بديع مُحكم
فصار منذ برزت عن بنتشة يزأم
تُحيي الشعارضها بحميم وبكم
فالله يجزيه جنا ة ما ينال بكم؟

تـقديـم

بقلم معالي الشيخ الفقيه الدكتور: صالح بن عبدالله بن حُمَيْد

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبيـنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه .

وبعد : فقد اطّلعت علىٰ أُرجُوزة «عُدَّةِ الطُّلَّبِ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَـقِّي وَالْأَدَبِ» من نظم أخينا الشيخ عبدالله بن محمد سفيان الحكميّ ، فوجدتـها أُرجوزة نافعة لطلاب العلم ، وأحسن ما يـمّيزها أنه ضمنها «(٩٠)» بيتاً من نظم طائفة من العلماء السابقين كاللؤلئيّ والـهلاليّ والزبيديّ وغيرهم ، وهـٰذا النظم مفرّق في طائفة من تصانيف أهل العلم ، فاجتمع في هـٰذه الأُرجوزة .

أسأل الله تـعالىٰ أن يـنفع بـها الناشئين في طلب العلم ، وأن يثيب الشيخ عبدالله علىٰ ما بذله من جهد ، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ خير خلقه ، وعلىٰ آله وصحبه .

وكتبه

صالح بن عبد الله بن حُمَيْد

عضو هيئة كبار العلماء ، ورئيس مجلس الشورىٰ ، وإمام وخطيب المسجد الحرام .

تـقديـم

بقلم معالي الشيخ الفقيه الدكتور: عبدالله بن محمد المطلق.

الحمدلله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه، وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد: فقد اطَّلعت علىٰ الأُرجُوزة التي نظمها أخونا الشيخ عبدالله بن محمد سفيان الحكميّ، وقد سماها «عُدَّةَ الطَّلَبِ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبِ» وهي أُرجوزة تجمع بين الشمول، وسلاسة الأسلوب ووضوح المعاني، تناول فيها فضل العلم وأهله، والمنهج العلميّ الذي جرىٰ عليه أسلافنا حيث بيّن أنه منهج قائم علىٰ أسس متينه، وشروط متممة لهٰذه الأسس، وركّز بوجه خاص علىٰ أهمية الحفظ الذي فرّط فيه الكثير من طلاب العلم في هٰذا الزمن مع أنه من أهم الوسائل العلمية لطلب العلم.

ثم عرّج علىٰ أهم الآداب التي يتحلّىٰ بها طالب العلم في نفسه، ومع شيوخه وأقرانه، وكذلك آداب المعلم في نفسه ومع طلابه، وانتهىٰ به المطاف إلىٰ ذكر عوائق الطلب التي تعترض طريق طالب العلم ليحاول تجنبها والتغلب عليها.

ولا ريب أن هٰذه الأُرجوزة تسهم في رسم المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يسير عليه طلّاب العلم حتىٰ يسلموا من الجنوح إلىٰ الغُلُوّ الذي وقع فيه بعض الشباب اليوم، وترتب عليه كثير من الخلل.

ومما يزيد الانتفاع بهٰذه المنظومة أن تُسجّل في شريط مسموع كي يرغب الطلاب في الإقبال علىٰ سماعها، وهو أمر حرص عليه الناظم في سلسلته

التي يقوم بتحقيقها ، ولا ريب أن تسجيل هذه المتون العلمية أنفع لطلاب العلم من الإسراف في سماع الأناشيد العاطفية .

وإنني أدعو طلاب العلم إلى العناية بهذه الأرجوزة ومدارستها . والوقوف عند الأحاديث والآثار وأخبار العلماء التي وردت فيها . والتخلق بما ذكر فيها من آداب ووصايا .

أسأل الله تعالى أن يبارك في جهود الشيخ عبدالله الحكمي ، ويسبغ عليها ثوب القبول ، ويرزقنا جميعًا الإخلاص في القول والعمل ، إنه خير مسؤول .

وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبينا وقدوتنا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه .

عبدالله بن محمد المطلق

عضو هيئة كبار العلماء . وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مقدمة الناظم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام علىٰ المفرد العَلَم، المبعوث إلىٰ الجن والإنس عربهم والعجم، وعلىٰ آله وصحبه أولي المكارم والفضائل والشيم، وعلىٰ من اتبعهم واقتفىٰ أثرهم إلىٰ يوم يحشر الله الأمم.

وبعد: فإن ما نراه اليوم في حياة المسلمين من الجهل بأحكام الشرع ومقاصده وظهور الغُلُوّ في الدين لدىٰ بعض أفرادهم يرجع ذلك في معظمه إلىٰ غياب المنهجية الصحيحة في طلب العلم الشرعيّ ومعرفة آدابه.

ولعل الحاجة إلىٰ التركيز علىٰ هٰذه المنهجية الصحيحة في هذه الفترة الزمنية أشد، وذلك لأن عدم الأخذ عن العلماء العاملين وصحبتهم والتأدُّب بآدابهم أوقع طوائف من طلّاب العلم في كثير من الشطط والتنطُّع، والغُلُوّ في الأحكام علىٰ المسلمين ونواياهم، وتجهيل أهل العلم وتنصيب أنفسهم بديلاً عنهم.

ولقد كان موضوع المنهيجة في الطلب أمرًا يشغل بالي كثيرًا، وكنت أتلمس هٰذه المنهجية من خلال حضور الدروس العلمية المنهجية، ومطالعة الكتب التي صُنفت في فضل العلم، والأخذ عن الشيوخ، وفضل الحفظ، والعناية بالطلب في الصغر، ومعرفة آدابه، وعلىٰ مدار عقد ونصف حاولت جمع أهم أسس التحصيل العلميّ - في فترات متباعدة - فاجتمع لديّ عام ١٤١٤ هـ سبعة أسس ثم أضفت إليها أسسًا أخرىٰ كلما سنحت الفرصة، إلىٰ أن أصبحت هٰذه الأسس

في صيف عام ١٤٢٤ هـ ستة عشر أساسًا، وحين شاركت - في صيف العام الآنف الذكر - في عقد دورة علمية في علم مصطلح الحديث، جعلت الحديث في الدرسين الأولين عن المبادئ العشرة التي ينبغي على كل طالب علم أن يعرفها قبل الشروع في أي علم من العلوم.

وبدهيٌّ أن أتناول موضوع أسس التحصيل العلميّ وشروطه من خلال الحديث عن هذه المبادئ العشرة.

واقتداءً بالعلماء في نظم المسائل العلمية ليسهل حفظها واستيعابها، نظمت هذه الأسس، وأضفت إليها نظم أهم شروط التحصيل العلميّ فبلغت ١٦٣ بيت وتوقفت عند هذا الحد، وفي متنصف عام ١٤٢٥ هـ، يسر الله لي مقابلة شيخنا العلّامة الشيخ محمد سالم في مكة في فترة حضوره جلسات مؤتمر المجمع الفقهيّ التابع لرابطة العالم الإسلاميّ، وقرأت عليه هذا المقدار الذي ذكرته آنفًا، فاستحسنه وشجعنيّ وحفز همتي، فعمِدت إلى كتاب «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم» للإمام ابن جماعة الكنانيّ رحمه الله تعالى لشموله وحسن ترتيبه وإيجازه، فنظمت جُلّ ما يتعلق بآداب الطالب والمعلّم والآداب المشتركة بينهما والآداب المتعلقة بالكتب، ثم أضفت فصولاً رأيت أهميتها في فضل العلم وثمرات العلم الشرعيّ، وتقسيم العلوم، وأفردت فصلًا في الحفظ وبيان أنه أهم أسس التحصيل العلميّ، وآخر في شروطه، وختمت هذه الأرجوزة بفصل في أهم عوائق الطلب.

فارتكزت هذه الأرجوزة على مقدمة وبابين رئيسين، واشتمل كل باب على خمسة فصول، ثم خاتمة.

ولست -يا طالب العلم- في حاجة إلىٰ الإطالة عليك بذكر عناوين فصولها، وما يحويه كل فصل من المسائل والأبحاث، فهي بين يديك.

وبعد أن منّ الله عليّ بإتمامها بعثت بها إلىٰ شيخي العلّامة الجليل الشيخ محمد سالم، ورغبت إليه ملحًّا أن يطلع عليها ويقوّم ما اعوج منها، مع علمي سلفاً بكثرة أعباء الشيخ، وأن ما ينوء به من الأعمال العلميةوغيرها لا يسوغ معه إشغاله بأعمال أخرىٰ.

والذي جرّأني علىٰ هٰذا الطلب أمران:

أولهما -أنني أعدّ نفسي واحدًا من تلاميذ هٰذا العَلَم- وإن كنت لم أَثْنِ ركبتيّ في محضرته العامرة- فقد أفدت من علمه مسائل علمية متنوعة، واهتبلت كل فرصة سنحت لي بالالتقاء به أو مهاتفته، وكم من معضلة علمية لم أجد الإجابة عليها في الكتب وجدت حلّها عنده، أجزل الله مثوبته.

ثانيهما -أنني مارست قول الشعر في سن الصِّبا، ثم صرفت هٰذه الموهبة للنظم العلميّ، إلا في أحوال لا بد أن أستجيب فيها لداعي الشعر وبواعثه.

والنظم العلميّ أنفع لطالب العلم في نظر كثير من العلماء، تُعقد به شوارد المسائل مما لم يجده الناظم منظومًا من قبل، وتضبط به أكثر القواعد العلمية.

ومن هٰذه الأمور التي احتجت أن أنظمها لنفسي ولطلّاب العلم الناشئين في الطلب أسس التحصيل العلمي، وشروطه، ثم رأيت أن أضيف إلىٰ ذٰلك أهم ما تضمنه كتاب «تذكرة السامع والمتكلم» -كما أسلفت- وأبحاثًا أخرىٰ رأيت أن أضيفها إلىٰ عقدها، بعد أن وجدت التشجيع من شيخي، كما تقدم.

ومن طبيعتي أني لا أعُدّ أيّ عمل علميّ أنتهي من إعداده موثوقاً به ونافعاً لطلاب العلم حتىٰ يُزَكّىٰ من قِبل بعض من أثق بهم من أهل العلم.

ولما كان شيخنا أمهر من عرفت بهذه الصناعة، وأجلّ من يحسن صياغة الكلام، بعثت بهذه الأرجوزة إليه مع الزميل الفاضل الشيخ محمد بن أحمد جدّو حيث عرضها- أثابه الله تعالىٰ- عليه كاملة في صيف عام ١٤٢٦ هـ، إلّا أبياتاً يسيرة زدتها بعد ذلك، ثم عرضتها عليه في زيارته الأخيرة أوئل هذا العام ١٤٢٧ هـ حينما شارك في جلسات المجمع الفقهيّ التابع لرابطة العالم الإسلاميّ، وقد انتفعت بتصويباته، وأثبتها في مواضعها، وهي وإن كانت يسيرة إلّا أنها عظيمة النفع.

وإليك- يا طالب العلم- هذه التصويبات لتعرف الدقة، وانتقاء اللفظ المناسب، وحضور البديهة عند شيخنا حفظه الله تعالىٰ.

الموضع الأول: قولي في الفصل الأول في البيت رقم (٥٦):

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَتَىٰ فَلْتَدْرِيَهْ مُتَّفَقًا عَلَيهِ عَنْ مُعَاوِيَهْ

وهو مستقيم من حيث المعنىٰ، غير أن فيه سناداً، اقتضىٰ معه أن يؤتىٰ بكلمة فيها ألف التأسيس فجعل مكان «فَلْتَدْرِيَهْ» قوله «يَا بَا غِيَهْ» أي: يا مريده.

الموضع الثاني: قولي في البيت رقم (٧٩):

حَيْثُ رَوَاهُ التِّرمِذِيْ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْحَبْرِ الْأَبِيِّ الْأَغْلَبِ

وحينما سمع الشيخ هذا البيت علق عليه بأن لفظ «الْأَغْلَبِ» وصف للأسد وليس من أسمائه، ومعناه: غليظ الرقبة، ولا يصلح أن يوصف به الإنسان لاسيما إذا كان صحابياً، فجعل مكانه: «الْقَيْسِيِّ صَاحِبِ النَّبِي».

ولعلي أُعجبت بجمال الألفاظ ، فعدلت عن المعنىٰ اللُّغويّ جهلاً مني به .

الموضع الثالث : قولي في البيت رقم (٢١١) عن أهمية النظم :

وَهُوَ لِطُلَّابِ الْعُلُومِ أَنْفَعُ وَلِلْفَوَائِدِ الْحِسَانِ يَجْمَعُ

أشار عليّ بإبدالها بلفظ ((أَجْمَعُ)) حتىٰ تكون في مقابلة لفظ ((أَنْفَعُ)) في آخر المصراع الأول .

الموضع الرابع : قولي في البيت رقم (٤٤٥) :

فَلْتَثْنِ رُكْبَتَيْكَ فِي الْمَسَاجِدِ مُلَازِمًا لِكُلِّ شَيْخٍ مَاجِدِ

أشار عليّ حفظه الله بجعل ((مُثَافِنًا)) مكان ((مُلَازِمًا)) والمثافنة هي المجالسة والملازمة ، يقال ثافنه فهو مثافن ، وثافنت علىٰ الشيء واضبت ، ففي اللفظ زيادة في المعنىٰ كما ترىٰ .

الموضع الخامس : قولي في البيت رقم (٨٧٩) :

وَزِينَةُ الْعَالِمِ فِي التَّوَاضُعِ وَلَيْسَ فِي الزَّهْوِ وَلَا التَّصَنُّعِ

وهذا فيه سناد كما تقدم ، فلفظ ((التَّوَاضُعِ)) فيه ألف التأسيس بخلاف ((التَّصَنُّعِ)) فلم تدخله هذه الألف ، فقال الشيخ في بداية الأمر : الأفضل أن يُصْلَح ، فقمت بإصلاحه ، ثم جاءني بعد ذلك إصلاح الشيخ فأثبتُّه ؛ لأنه أبلغ بكثير ، وهو قوله حفظه الله تعالىٰ : ((فَالزَّهْوُ وَالْعِلْمُ ذَوَا تَدَافُعِ)) .

وهناك ست كلمات أو سبع أبدلها الشيخ بأحسن منها ، وأخرىٰ كان ضبطي لها مخالفًا للضبط الصحيح ، وحفظتها في الصبا علىٰ هذا النحو الخاطئ وهي خمس كلمات ، أحببت إيرادها ليستفيد مَن حَفِظَها مثلي مخطئًا في ضبطها :

١) كلمة ((هِجْران)) التي وردت في آخر المصراع الأول من البيت رقم (٣٢٠) فقد كنت انطقها بضم الهاء.

٢) كلمة ((وَاعْمِدْ)) الواردة في أول المصراع الثاني من البيت رقم (٤١٣) فقد كنت أنطقها بفتح الميم.

٣) كلمة ((نَفْرَة)) في قولي ((فَقَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِنَفْرَتِهْ)) وهو المصراع الثاني من البيت رقم (٥٤٠) فقد كنت أنطقها بضم النون تأثراً باللهجة الدارجة.

٤) كلمة ((يَشْغَل)) الواردة في المصراع الثاني من البيت رقم (٦٦٣) ص (١٤٥) فقد كنت أنطقها بضم الياء وكسر الغين، لأنني سمعت هذا الضبط في صِباي وبقي هذه السنين الطويلة.

٥) كلمة ((تَزْهَر)) الواردة في آخر المصراع الثاني من البيت رقم (٨٩١) فقد كنت أنطقها بضم التاء وكسر الهاء، وهذا الضبط كسابقيه مما حفظته في الصِّبا وبقي دون تصحيح إلى أن صححه لي الشيخ أكرمه الله تعالى.

وقد شرّفني شيخي العلّامة محمد سالم أعلى الله مقامه بثنائه على هذه الأرجوزة حيث قرّظها - بعد أن تمت قراءتها عليه - بأبيات تكتب بماء العينين وغمرني بما لا أستحق من العطف والتشجيع والتكريم، أحسن الله إليه.

ولا بد قبل أن أختم هذا التقديم من الإشارة إلى بعض الحقائق المتعلقة بالأرجوزة مضموناً وشكلاً.

أولاً: أن بحر الرجز تدخله بعض الضرورات، منها ما هو سائغ لغة، ومنها ما ليس سائغاً.

وقد تجنّبت بفضل الله وعونه هـٰذه الضرورات إلّا في مواضع يسيرة حصل فيها ما يعرف بـ« مزدوج الزّحاف »وهو ما يسمّىٰ في بحر الرجز بـ« الخَبْل »وهو إسقاط ثانيه ورابعه الساكنين ، فيصبح « مُسْتَفْعِلُنْ » « مُتَعِلُنْ » أي : تتوالىٰ فيه أربع حركات ، تنقل بعد ذلك إلىٰ « فَعَلَتُنْ » .

والخَبْل يضطر إليه الناظم في مواضع ، أهمها : حرص الناظم علىٰ التقيّد بلفظ وارد في حديث من الأحاديث ، وقد حصل لي في هـٰذه الأرجوزة مواضع يسيرة ، أوردها علىٰ النحو الآتي :

١) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٧٠) ص (٥) ناظمًا حديث : « مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا ... » الحديث :

وَفِيهِ مَن سَلَكَ دَرْبًا يَطْلُبُ اَلْعِلْمَ فِيهِ فَضْلُهُ لَا يَعْزُبُ

فيلحظ البصير بالنظم دخول الخَبْل في المصراع الأول من البيت بسبب إبقائي لفظ « مَنْ سَلَكَ » كما هو في الحديث ، وبإمكاني التخلص منه ، لكنه يذهب بجمال سياق الحديث وبهائه .

٢) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٢٠٢) ص (١٥) :

وَهَـٰذِهِ الْأُسُسُ سِتَّةَ عَشَرْ .... البيت .

والأسس جمع أساس ، ويمكن أن أقول : « وهـٰذه الآسَاسُ ... » وأتخلص بذلك من الخَبْل ، لكن الآساس جمع أُسُس ، وهو المقصور من لفظ « أساس » ويمكن أن أجعل مكان « أُسُس » « إسَاس » وهو جمع « أُسّ » ولم أستملح هـٰذا فكان لا بد من إثبات لفظ « الأسس » لوضوحها وشهرتها ، وتكرّر هـٰذا الاستعمال

في المصراع الأول من البيت رقم (٢٠٦) والمصراع الأول من البيت رقم (٢٢٤) .

٣) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٤٤٩) ص (٣١) :

مَن وَلَجَ الْكُتُبَ وَحْدَهُ خَرَجْ مِنْهَا ...)) البيت .

ويمكن أن أجعل مكان ((الكتب)) ((الأسفار)) وبذلك أعالج مشكلة الخَبْل لكنني لا بد أن أتقيد بإيراد هذا اللفظ ؛ لأنه ورد في الأثر المرويّ عن الشافعيّ رحمه الله تعالىٰ ،والأولىٰ في نظم النصوص أن يتقيد الناظم بألفاظها قدر الإمكان .

٤) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٥٥٤) ص (٣٨) :

وَاحْذَرْ مِنَ الْعَبَثِ بِالثَّيَابِ ...))البيت .

ولا يحضرني لفظ أنسب من لفظ ((العبث)) في هذا الموضع ، فكان لا بد من التقيّد به .

هذه هي المواضع التي حصل لي فيها خبل في كلمتين .

وسبب استثقال الخبل نسبيًا وروده في كلمتين كما في الأمثلة السابقة .

أما إذا ورد في كلمة واحدة ، فإنه لا يكاد يُدرك ،بل لا يدركه إلا حاذق بالنظم .

وقد حصل لي ذلك في مواضع يسيرة .

منها : ما جاء في أوّل مصراعي البيت رقم (٦٠) ص (٥) :

وَمَثَلُ الْفَقِيهِ كَالْأَرْضِ الَّتِي قَبِلَتِ الْمَا ...))البيت .

وفي آخر المصراع الأول من البيت رقم (٢٨٩) ص (٢٠) . حيث جاء فيه قوله : ((فَحَفِظَهْ)) ونسيت موضعًا في المبادئ العشرة وهو ((ثمرته)) في البيت ((٢١٨)) .

وفي أول المصراع الأول من البيت رقم (٤٠٩) وفيه :((وَبِعُلُوِّ الْهِمةِ اتَصِف ...)).

وفي كلمة ((نـقلا)) في آخر المصراع الثاني من البيت رقم (٤٤٩) ص (٣٢) :

فَإِنَّـهُ إِن تُـعْطِـهِ كُـلَّكَ لَا يُـعْطِيكَ إِلَّا بَعْضَهُ . وَنُـقِلَا

وفي أول المصراع الأول من البيت رقم (٦١٥) ص (٤٧) :

((فَبِصَلَاحِ الْقَلْبِ يَصْلُحُ الْجَسَدْ)) .

وفي أول المصراع الأول من البيت رقم (٧٥٩) ص (٥٣) :

(بِـ((عَمَلِ الْيَوْمِ مَعَ اللَّيْلَةِ)) قَدْ سُمِّيَ عِندَ السَّالِفِينَ ...) البيت .

وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن الخبل ليس على درجة واحدة، بل إن الأخفش - سعيد بن مسعدة - يرى أنه سائغ في بحر الرجز فقال في ((كتاب العروض)) ط : الفيصلية : (فـ((فَعَلَتُنْ)) فـيـه أحـسـن منه في البسيط والسريـع ، لأن الرجـز يستعملونه كثيرًا ، وإنما وضعوه للحُدَاء ، والحُدَاء غناء ، وهم وكلامهم إذا كانوا في عمل أو سَوْق إبل ، فالحذف مما يكثر في كلامهم أخفّ عليهم ، قال :

((هَلَّا سَأَلْتِ طَلَلاً وَحُمَمَا))

وقال :

((قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهُ فَجَبَرْ)) فلم يقبُحْ[1]) انـتـهى ما أردت نقلة .

وفي تـقديـمي لمتن ((الْمُوثَّقِ مِنْ عُمْدَةِ الْمُوَفَّقِ)) لشيخنا العلّامة الشيخ محمد سالم ، ذكـرت نماذج لطائفة من أكبر الشعراء قديمًا وحديثًا ، وقع فيها هـؤلاء في الخبل[2] ، مما يدل على تعذّر السلامة منه ، لا سيما في النظم العلميّ .

---

(١) ص (١٤٩) .

(٢) ص (٥٣ - ٥٧) .

وأظن أن الذين شدَّدوا في أمره لم يمارسوه في بحر الرجز، وقاسوه على دخوله في بحور أخرى، ولا ريب أن دخوله في البسيط والمنسرح قبيح.

ومع هـٰذا فيحسن بالناظم أن يتجنب الوقوع فيه إلّا إذا اضْطُرّ إلى ذلك.

ومن الضرورات التي تقع في بحر الرجز: «السِّنَاد» وهو يقع في القافية، والسِّنَاد إذ كان من قبيل تناوب الضمة مع الكسرة ونحو ذلك، فهو كثير في شعر العرب، ولا يرى الأخفش: سعيد بن مسعدة هـٰذا من قبيل السناد.

وقد حصل لي سناد التأسيس في أربعة مواضع، تم إصلاح موضعين، وبقي اثنان كان لا بد من إبقائهما؛ لأنهما يتعلقان بمصطلحين من مصطلحات علوم الحديث هما «المشهور والمتواتر» ولا يمكن التعبير عنهما بألفاظ أخرى.

والموضع الأول من الموضعين المذكورين في البيت رقم (٢٧٨) ص(٢٠):

.... لَـٰكِنَّنِي أَرَى أَن يُكْتَفَى بِمَنْ حَكَى التَّوَاتُرَا

فلفظ «التواترا» مؤسس، ولفظ «أرى» ليس مؤسسًا.

والموضع الثاني في البيت رقم (٢٩٤).

وَعَدَّهُ الْحَافِظُ فِيمَا اشْتَهَرَا وَعِندَ قَوْمٍ يَبْلُغُ التَّوَاتُرَا

فـ«التَّوَاتُرَا» مؤسس، و«اشْتَهَرَا» غير مؤسس.

وما دام أن ألِف التأسيس مفصولة عن حرف الرويّ بحرف فالأمر فيه يسير.

ومثل هـٰذا مما يضطر إليه الناظم، ولا خيار له في تركه، ولله دَرُّ إمام هـٰذه الصنعة الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى حين قال في «العين»:

«والتَّأسيسُ في الشِّعْرِ ألِفٌ تلزم القافية وبينَها وبين أَحْرُف الرَّوِيّ حرف

يجوز رفعه وكسره ونصبه نحو مَفاعِلنْ فلو جاء مثل ((محمد)) في قافية لم يكن فيه تأسيس حتىٰ يكون نحو ((مجاهد)) فالألف تأسيسُه)).

إلىٰ أن قال : ((وهو عيبٌ في الشِّعر غير أنّه ربما اضطُرَّ إليه ، وأحسن ما يكون ذٰلك إذا كان الحرفُ الذي بعد الألف مفتوحًا ؛ لأن فتحته تغلب علىٰ فتحة الألف ، كأنها تُزال من الوهم كما قال العجاج :

مُبَارَكٌ لِلْأَنْبِيَاءِ خَاتَمُ مُعَلِّمٌ آيَ الْهُدَىٰ مُعَلِّمُ

فلو قال ((خاتِم)) بكسر التاء لم يَحْسُنْ[1])).

والخَبْل والسِّنَاد وغيرهما من الضرورات التي يتعذر تجنبها في الشعر عامة ، وفي النظم العلميّ علىٰ وجه الخصوص ، وقد اعتذر شيخنا العلّامة المرابط محمد سالم عنهما وعن غيرهما من الضرورات السائغة عند صيارقة النظم فقال في مقدمة نظم العمدة المسمّىٰ بـ ((الموثق)) ص (٧٠) و (٧١) .

مُعْتَذِرًا مِمَّا يَجُسُّ النُّبَهَا مِنَ الْبُرُودَةِ لِنَظْمِ الْفُقَهَا
لِمَا مِنَ التَّضْمِينِ فِي الْقَوَافِي يَحْوِي ، وَمِن مُزْدَوِجِ الزِّحَافِ
وَمِن سِنَادٍ ، وَتَدَاخُلٍ بِأَنْ يَلُزَّ مِصْرَاعَيْنِ لَفْظٌ بِقَرَنْ
وَمِن دُخُولِ ((أَلْ)) عَلَىٰ مَا أُفْرِدَا لَفْظًا مِنَ الَّذِي يُضَافُ أَبَدَا
وَقَصْرِ أَوْ نَقْلٍ ، وَحَذْفِ حَرْفِ عَطْفٍ ، وَصَرْفِ عَادِمٍ لِلصَّرْفِ
وَالْوَقْفِ مِن قَبْلِ التَّمَامِ ((كَعَمَلْ بِزٍ يَزِينُ وَلْيُقَسْ مَا لَمْ يُقَلْ

---

(١) ص (٢٦) .

والأرجوزة في مجملها من النظم السلس، وقد أثنىٰ عليها ـ والحمد لله تعالىٰ ـ طائفة من الشعراء وأهل البيان، ولولا أن ذكر أسمائهم من دوافع حظ النفس لذكرتهم، وحسبي تزكية شيخي وشيخ أشياخ البيان في زماننا الشيخ محمد سالم.

ولست هنا في مقام الفخر والزَّهْو ـ عياذاً بالله تعالىٰ ـ وإنما في مقام الامتنان ببعض ما أنعم الله به عليّ، وإن ما أعلمه من نفسي من نقص وعِيّ لا يحملني علىٰ التفكير في الاعتداد بالنفس، وحالي هو الإصرار علىٰ السير إلىٰ الله تعالىٰ مع العُرْج والمكاسير، وأنا أشدّهم، وأسأله تعالىٰ أن يجبر الكسر ويستر العيب.

ولم تخل الأرجوزة من الطرفة والنكات المضحكة علىٰ تعلّق الشباب الشديد ببعض المآكل والمشارب والملابس، وليس كل الشباب معنيين بهذه التوجيهات فهي موجهة لطلاب العلم خاصة.

ولم أتكلف الألفاظ التي وردت في الأرجوزة ـ والتي تبدو غريبة ـ فقد كانت تواتيني طوعًا ـ ولله الحمد ـ لأن هذه الألفاظ رسخت في الذاكرة أيام الصِّبا وهي الأيام التي كنت أُعنىٰ فيها بقراءة الشعر، وحفظ ما استطعت حفظه منه.

ثانيًا: إن من أهم ما يميز هذه الأرجوزة أنني أدخلت في فصولها مقاطع من نظم السابقين، مما وقفت عليه من بحر الرجز، وحلّيتها به تحلية السيف بالجواهر وعدد هذه الأبيات (٩٥) بيتًا وشطران، جمعتها من مصادر مختلفة بعضها عن طريق البحث، وبعضها الآخر بواسطة السماع في مجالس أهل العلم.

وقد فرَّقْتُ هذه المقاطع الرجزية في مواضع عدة حسب مواضيعها المتنوعة.

وأشهرها أرجوزة اللؤلئيّ، فقد أوردتها مفرقة في خمسة مواضع، وهناك مقاطع

أخرىٰ لعدد من الأعلام، أثبت كل مقطع في موضعه المناسب، وهي: للهلاليّ والزبيديّ، وابن مُتّالي، وشيخنا، ووالده محمد عليّ بن عبد الودود، رحم الله الجميع، وأمتعنا بشيخنا. وهناك أبيات وأشطر أوردتها ليست منسوبة إلىٰ قائليها.

وقد تناولتْ هٰذه المقطوعات مسائل علمية مختلفة، وآدابًا متنوعة، ووصايا نافعة، ولو لم يكن من قيمة لهٰذه الأرجوزة إلا اشتمالها علىٰ هٰذه الفوائد المنظومة لكفاها ذٰلك نفعًا.

ومع هٰذا فقد اشتملت علىٰ طائفة كبيرة من الأحاديث والآثار ومناقب الأعلام وأخبارهم ووصاياهم، وغير ذٰلك من الفوائد التي يحتاجها طالب العلم المبتدئ.

ثالثاً: ميَّزت الآيات التي اقتبستها في متن الأرجوزة باللَّون الأخضر، وميَّزت بهٰذا اللون أيضاً بعض العناوين والكلمات والخطوط.

وأمّا الأحاديث التي اقتبستها في الأرجوزة، والآثار التي أوردتها فيها فقد ميَّزتها باللون الأزرق، فإذا كان الجزء الذي اقتبسته بالنص، فإنني اضعه بين قوسين مزدوجين، وإن كان بالمعنىٰ فإنني أكتفي بتلوينه باللَّون الأزرق فقط.

وأمّا اللَّون الأحمر فميَّزت به الأبيات المزيدة علىٰ الأرجوزة وبعض العناوين، وعلامة النقل، وهي رأس الصاد «صـ» وألف الإطلاق.

ومن الأمور التي أود التنبيه عليها وضع نُقط للربط بين مصراعي البيت المدمج والأبيات التي حصل فيها إدماج أو تداخل قليلة، وهي في أربعة أبيات فقط.

وهذه الطبعة مطابقة للإصدار الصوتيّ سوىٰ سبعة أبيات وهي الأبيات ذات الأرقام التالية: البيت رقم (٣٦٧) ص (٢٥) والبيت رقم (٨٠٨) ص (٥٧) والأبيات

الخمسة من (٩٦٨-٩٧٢) ص (٦٩).

هذه الأبيات زدتها بعد صدور الإصدار المذكور آنفًا.

وهناك بيت تم تعديله، وهو البيت رقم (٦٦٥) لأنني لم أجد لكلمة «السفاسف» تفسيرًا في معاجم اللغة المشهورة، فعدلت عنه إلى لفظ «السفساف» وتم تعديل المصراع الثاني من البيت (١٠٣٤) لورود السفاسف كذلك في آخره.

وتلبية لرغبة بعض أخواني في التعليق على هذه الأرجوزة كتبت تعليقات موجزة على بعض ما يحتاج إلى بيان، وسيطبع قريبًا إن شاء الله تعالى.

وقبل أن أضع القلم لابد من إظهار الامتنان بشكر الله تعالى، فله الحمد أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وإليه يرجع الأمر كله، ومن شُكْر الله تعالى شُكْر أهل طاعته، والذين يستحقون الشكر مني كثير، وفي مقدمتهم شيخنا العلّامة المرابط الشيخ محمد سالم الذي أكرمني بعطفه، وأفدت من علمه الغزير في هذه السنوات الأخيرة، ومن فضائله عليّ وما أكثرها سماعه لـ «أُرْجُوزَةِ الْآدَابِ» بتمامها وما أفادني به من تصويبات مع كثرة أعبائه العلمية كما أسلفت، ثم توّجني بعد ذلك بتاج الفخار حين قرّظها بأبيات تأخذ بمجامع القلوب، أسأل الله أن يمتع الأمة به، ويبارك في حياته، ويضاعف انتفاع الطالبين بعلومه.

ولأخي فضيلة الشيخ محمد بن أحمد جدُّو خالص الشكر والدعاء على ملحوظاته القيمة، وعلى قيامه بعرض هذه الأرجوزة على شيخنا المرابط، شكر الله لهما.

والشكر موصول لناظر وصية المحسن الكريم ناصر بن سليمان الصيقل: الأستاذ سليمان بن ناصر الصيقل على إسهامهم في طباعة هذا المتن وغيره.

فلصاحبها والقائمين عليها جزيل الشكر والعرفان ، سائلاً المولىٰ تعالىٰ أن يجزل لهم المثوبة ويبارك لهم في أنفسهم وأموالهم ويجعل ما قدموه في موازين حسناتهم .

وللأخ المفضال والمحسن الكريم الأستاذ أبي ياسر: عبدالمجيد أبي عقيل خالص الشكر والدعاء علىٰ ماقدم لهذه السلسلة العلمية من خدمات جُلّىٰ ، وسعي كريم في دعمها ، أسال الله أن يجزيه خير ما يجزى أخاً عن أخيه .

وشكر الله لكل من أعان علىٰ إنجاح هذه السلسلة العلمية داعيًا لهم جميعاً بالتوفيق والتسديد .

وأسال الله جلّت قدرته أن يمنّ علىٰ هذه البلاد بالحفظ ، ولقادتها وعلمائها وسائر الرعية بالتوفيق والسداد وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، إنه خير مسؤول وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ خير خلقه وعلىٰ آله وصحبه ، والحمدُ لله أولاً وآخرًا .

كان الفراغ من زبر هذا التقديم بُعَيد مغرب يوم الأحد الموافق للحادي والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٢٧هـ في مدينة الرياض ، حرسها الله تعالىٰ .

وكتبه

الفقير إلىٰ عفو ربه

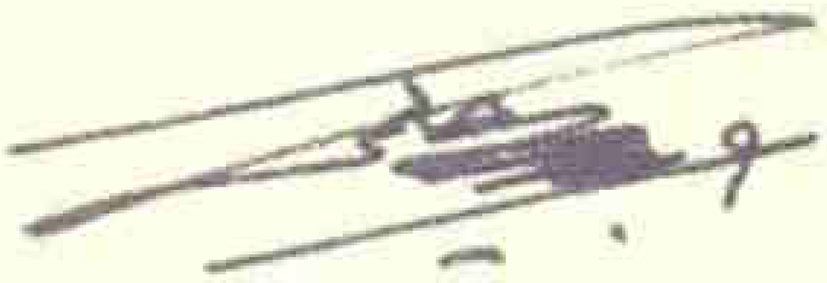

عبداللّه بن محمد سفيان الحَكَميّ المذْحِجيّ

البريد الإلكتروني

MTOON@ISLAMWAY.NET

مَتْنُ أُرْجُوزَةِ

عُدَّةِ الطَّلَبِ

بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبِ

أَوْ

((أُرْجُوزَةُ الْآدَابِ))

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قَالَ الْفَقِيرُ إِلَىٰ عَفْوِ رَبِّهِ عَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّد « سُفْيَانَ » الْحَكَمِيّ :

بِسْمِ السَّلَامِ الْوَاحِدِ الْمُهَيْمِنِ ... اَلْمُسْتَعَانِ ذِي الْجَلَالِ الْمُؤْمِنِ

أَحْمَدُهُ مُسَبِّحًا مُسْتَغْفِرَا ... مِن كُلِّ ذَنْبٍ تَائِبًا مُعْتَذِرَا

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا جَرَىٰ ... نَهْرٌ عَلَىٰ نَبِيِّنَا خَيْرِ الْوَرَىٰ

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ ... اَلْفَاتِحِينَ الْقَادَةِ الْأَخْيَارِ

وَبَعْدُ : فَالْعِلْمُ أَجَلُّ مَطْلَبِ ... بِهِ يَنَالُ الْمَرْءُ أَعْلَىٰ الرُّتَبِ

وَهَٰذِهِ أُرْجُوزَةٌ حَرَّرْتُهَا ... قَدْرَ اسْتِطَاعَتِي ، وَقَدْ رَصَعْتُهَا

بِنُخَبٍ مِن كَلِمِ الْأَعْلَامِ ... نَظْمًا وَنَثْرًا بِالْمَحَلِّ السَّامِي

نَظَمْتُ فِيهَا الْمَنْهَجَ الْقَوِيمَا ... لِطَالِبِ الْعِلْمِ لِيَسْتَقِيمَا

مَسَارُنَا عَلَىٰ خُطَىٰ الْأَسْلَافِ ... فَاظْفَرْ بِهِ وَاحْذَرْ صَدَىٰ الْإِرْجَافِ

فَالْعِلْمُ لَا يُحْرَزُ بِالْأَلْقَابِ ... وَالنَّفْخِ بِالْإِطْرَاءِ وَالْإِعْجَابِ

كَلَّا وَلَا بِكَثْرَةِ التَّأْلِيفِ ... وَجُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّزْيِيفِ

وَلَيْسَ بِالدَّعَايَةِ الْمُزَخْرَفَهْ ... يُصْنَعُ عَالِمٌ ، وَذَا هُوَ السَّفَهْ

كَمْ خَدَعَ النَّاسَ بَرِيقُ الْأَغْلِفَهْ ... وَكَمْ كِتَابٍ حَقُّهُ أَن تُتْلِفَهْ

وَكُلُّ هَٰذَا مِنْ عَوَائِقِ الطَّلَبْ ... فَاجْتَنِبَنْ - بُنَيَّ - أَسْبَابَ الْعَطَبْ

وَإِنَّ هَـٰذَا الْـمَنْهَجَ اسْتَقْرَأْتُـهُ ... مِن كُتُبِ الْعِلْمِ وَمِمَّا اخْتَـرْتُـهُ

مِن سِيَـرِ الْأَئِـمَّةِ الْكِبَارِ ... كَـذَاكَ عَنْ أَشْيَاخِنَا الْأَخْيَارِ

ثُـمَّ أَفَـدتُ بَعْضَهُ بِالـتَّجْرِبَـهْ ... وَمَنْ أَرَادَ كُـنْهَ شَيْءٍ جَـرَّبَـهْ

وَجُـلُّ مَا أَوْرَدتُ مِنْ آدَابِ ... فَـإِنَّـهُ لَارَيْـبَ مِن كِتَابِ

«تَذْكِرَةِ السَّامِعِ...» لِلْكِنَانِي ... عَلَـيْـهِ تَـتْرَىٰ رَحْـمَةُ الرَّحْمَـٰنِ

ثُـمَّ أَضَفْتُ مِن سِـوَاهُ دُرَرَا ... لِـعِقْدِهَا ، وَلَسْتُ يَا ذَا مُنكِـرَا

لَـوَازِمَ الـنَّفْسِ الَّتِي لَا يَسْلَـمُ ... مِـنْهَا امْـرُؤٌ فَنَـقْصُنَا مُحَـتَّمُ

وَمَا ادَّعَيْـتُ أَنَّنِي وَفَّـيْـتُ ... مَا كُـنْتُ أَبْـغِيـهِ وَلَا أَدَّيْـتُ

لَـٰكِنَّهَا جِـسْرٌ إِلَىٰ الْآدَابِ ... تَـذْكِـرَةٌ لِـزُمَـرِ الـطُّـلَّابِ

وَهَـٰذِهِ الْآدَابُ مِن جِنسِ الْعَمَلْ ... بِالْعِلْمِ، طُوبَىٰ لِمَنِ الشَّرْعَ امْتَثَلْ

وَهِيَ عَوَاصِـمُ مِنَ الْـقَوَاصِـمِ ... كَالْعُجْبِ، وَالْغُرُورِ، وَالـتَّعَـالُـمِ

وَالْـقَدْحِ فِي النِّـيَّاتِ وَالْأَفْـهَامِ ... وَعَدَمِ الـتَّـوْقِـيـرِ لِلْأَعْلَامِ

وَتِلْكُمُ الْآفَـاتُ مَعْ سِوَاهَا ... إِن شِئْتَ أَن تَـعْرِفَ مُنتَهَاهَا

فَـذَاكَ رَاجِـعٌ إِلَىٰ إِهْـمَالِ ... تَـعْلِـيمِ ذِي الْآدَابِ لِلْأَجْـيَالِ

وَكَانَ أَخْـذُ الْعِلْمِ عِندَ السَّلَفِ ... يُـقْرَنُ بِالْإِصْلَاحِ لِلنَّـفْسِ ، وَفِي

بَعْضِ الْأَحَايِـينِ قُـبَيْلَ الطَّلَبِ ... يُـغْـرَسُ فِي الطَّالِبِ حُبُّ الْأَدَبِ

لِذَاكَ سَمَّوْهُ بِـ«عِلْمِ التَّزْكِيَهْ» أَوْ«أَدَبِ السُّلُوكِ» وَهْوَ التَّرْبِيَهْ

عَلَىٰ اكْتِسَابِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَالسَّيْرِ فِي طَرِيقِهِ الْقَوِيمِ

وَعَلَّ مَا نَظَمْتُ مِنْ آدَابِ يُسْهِمُ فِي تَنْشِئَةِ الطُّلَّابِ

عَلَىٰ سُلُوكِ مَنْهَجِ الْأَسْلَافِ أَهْلِ التُّقَىٰ وَالْعِلْمِ وَالْإِنْصَافِ

سَمَّيْتُهَا - بُنَيَّ - «عُدَّةَ الطَّلَبْ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبْ»

قِوَامُهَا بَابَانِ ثُمَّ خَاتِمَهْ أَحْسَنَ رَبِّي لِلْجَمِيعِ الْخَاتِمَهْ

وَكُلُّ بَابٍ مِنْهُمَا يَشْتَمِلُ عَلَىٰ فُصُولٍ خَمْسَةٍ تُفَصَّلُ

وَاللَّهُ يُحْظِينَا بِحُسْنِ الْفَهْمِ وَبِاجْتِنَاءِ ثَمَرَاتِ الْعِلْمِ

وَمَا بِهَا مِنَ الصَّوَابِ يُرْجَعُ إِلَى الَّذِي لَهُ الرِّقَابُ تَخْضَعُ

أَسْأَلُهُ الْإِخْلَاصَ فِي الْأَعْمَالِ لِوَجْهِهِ وَالصِّدْقَ فِي الْأَقْوَالِ

وَمَا حَوَتْ مِنْ خَطَإٍ فَإِنَّنِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَظِيمَ الْمِنَنِ

مِنْهُ ، وَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ وُقُوعُهُ حَتْماً بِلَا نُكْرَانِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ وَالرَّسُولَا مِنْهُ بَرِيئَانِ ، أَتَىٰ مَنْقُولَا

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ صَحِيحَ السَّنَدِ يَرْوِيهِ عَنْهُ مُسْنِدٌ عَنْ مُسْنِدِ

عَلَيْهِ رِضْوَانُ الْعَلِيِّ وَعَلَىٰ سَائِرِ صَحْبِ الْمُصْطَفَىٰ خَيْرِ الْمَلَا

وَمَنْ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ قَدْ سَارَا وَاتَّخَذَ اتِّبَاعَهُمْ مَنَارَا

الْبَابُ الْأَوَّلُ

فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَتَقْسِيمِ الْعُلُومِ، وَبَيَانِ أَهَمِّ أُسُسِ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ وَأَنَّ الْحِفْظَ أَهَمُّ هَذِهِ الْأُسُسِ، وَذِكْرِ أَهَمِّ شُرُوطِ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ

وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ

اَلْعِلْمُ خَيْرُ مِنْحَةٍ حَبَانَا ... بِهَا الَّذِي عَلَّمَنَا الْبَيَانَا

الْعِلْمُ نُورٌ سَاطِعٌ لَا يَنْطَفِي ... بِهِ يَنَالُ الْمَرْءُ أَسْمَى شَرَفِ

أَثْنَى عَلَيْهِ اللهُ فِي كِتَابِهِ ... كَذَلِكُمْ أَثْنَى عَلَى طُلَّابِهِ

فِي آلِ عِمْرَانَ وَفِي الْأَنْعَامِ ... وَالْعَنْكَبُوتِ دُونَمَا إِبْهَامِ

وَالنَّحْلِ ثُمَّ فَاطِرٍ وَالزُّمَرِ ... وَغَيْرِهَا مِنْ مُحْكَمَاتِ السُّوَرِ

وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِأَنْ ... يَقُولَ ﴿رَبِّ زِدْنِي﴾ فَهْوَ أَعْظَمُ الْمِنَنْ

وَكَمْ حَدِيثٍ نَاطِقٍ بِفَضْلِهِ ... وَفَضْلِهِمْ، قَدْ زَخَرَتْ بِنَقْلِهِ

كُتُبُ الْحَدِيثِ بِاتِّصَالِ السَّنَدِ ... عَنْ كُلِّ عَدْلٍ ثِقَةٍ مُسَدَّدِ

أَصَحُّهَا «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ ... خَيْرًا يُفَقِّهْهُ ...» فَسِرْ فِي دَرْبِهِ

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَتَى يَا بَاغِيَهْ ... مُتَّفَقًا عَلَيْهِ عَنْ مُعَاوِيَهْ

وَصَحَّ فِي سِوَاهُمَا عَنْ حَبْرِ ... أُمَّتِنَا، وَعَنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ

أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَصَحَّ السَّنَدُ ... إِلَيْهِمَا ، يَرْوِي الْجَمِيعَ أَحْمَدُ

فَصَارَ مَشْهُورًا عَنِ الْمُعَلِّمِ ... صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ عَدَّ الْأَنجُمِ

وَمَثَلُ الْفَقِيهِ كَالْأَرْضِ الَّتِي ... قَبِلَتِ الْمَا وَالَّتِي أَمْسَكَتِ

خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ هُمُ الْـ ... ـخِيَارُ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ هَذَا كَمُلْ

بِالْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَالِاعْتِصَامِ ... بِشَرْعِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

أَوَّلُ ذَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ وَرَدْ ... وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الثَّانِي ، وَقَدْ

رَوَاهُمَا الشَّيْخَانِ عَنْهُمَا ، وَمَا ... وَجَدتُ فِي الصِّحَابِ مَن رَوَاهُمَا

سِوَاهُمَا عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ ... صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا نَبْتٌ عَفَا

وَالْعُلَمَا وُرَّاثُ الْأَنْبِيَاءِ ... كَمَا أَتَانَا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ

فَلَمْ يُوَرِّثْ وَاحِدٌ دِينَارَا ... أَوْ دِرْهَماً بَلْ وَرَّثُوا مَا اخْتَارَا

لَهُمْ تَعَالَىٰ وَهْوَ عِلْمُ الشَّرْعِ ... آخِذُهُ يَحْظَىٰ بِأَسْمَىٰ النَّفْعِ

وَذَاكَ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَافِرِ ... وَوَارِثٌ لِأَعْظَمِ الْمَفَاخِرِ

وَفِيهِ مَن سَلَكَ دَرْبًا يَطْلُبُ ... اَلْعِلْمَ فِيهِ فَضْلُهُ لَا يَعْزُبُ

يُسَهِّلُ اللهُ إِلَىٰ الْجِنَانِ ... طَرِيقَهُ بِالْفَوْزِ وَالرِّضْوَانِ

أَجْنِحَةُ الْمَلَائِكِ الْكِرَامِ لَهْ ... تُوضَعُ تَأْيِيدًا لِمَا قَدْ فَعَلَهْ

وَكُلُّ مَخْلُوقٍ لَهُ يَسْتَغْفِرُ ... وَأَجْرُهُ عِندَ الرَّحِيمِ أَكْبَرُ

وَفِيهِ جَا : وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ ... حَقًّا عَلَىٰ الْعَابِدِ ذِي الْمَكَارِمِ

كَمِثْلِ فَضْلِ الْقَمَرِ الْمُكْتَمِلِ ... عَلَىٰ الْكَوَاكِبِ ، فَبِالْعِلْمِ اعْمَلِ

وَفِي أَبِي دَاوُدَ جَاءَ مُسْنَدَا ... وَكَمْ إِمَامٍ طُرْقَهُ قَدْ أَوْرَدَا

صَحَّحَهُ بَعْضٌ وَبَعْضٌ حَسَّنَا ... بِمَا لَهُ مِن طُرُقٍ فَأَحْسَنَا

وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ : كَفَضْلِي ... عَلَىٰ الْأَقَلِّ مِنكُمُ فِي الْفَضْلِ

حَيْثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنَ أَبِي ... أُمَامَةَ الْقَيْسِيِّ صَاحِبِ النَّبِي

عَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحْبِ رِضْوَانُ الصَّمَدْ ... مَا ذَكَرَ الرَّحْمَٰنَ عَبْدٌ وَسَجَدْ

وَجَاءَ فِيهِ حُكْمُهُ الصَّرِيحُ ... إِذْ قَالَ عَنْهُ : حَسَنٌ صَحِيحُ

بَعْدَ هُمَا جَاءَ ((غَرِيبٌ)) وَهْوَ فِي ... جَامِعِهِ الْفَذِّ قَلِيلٌ فَاعْرِفِ

وَ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ)) وَرَدْ ... عَنْ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَقَدْ

أَفْرَدَهُ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ فِي ... جُزْءٍ لَهُ بِجُلِّ طُرْقِهِ يَفِي

ضَعَّفَهُ بَعْضٌ وَبَعْضٌ صَحَّحَا ... وَبَعْضُهُمْ حَسَّنَهُ وَأَوْضَحَا

بُطْلَانَ قَوْلِ بَعْضِهِمْ ((وَمُسْلِمَهْ)) ... إِذْ لَمْ يَكُن مِنَ الْحَدِيثِ فَاعْلَمَهْ

وَآخَرُونَ صَحَّحُوا مَعْنَاهُ ... وَضَعَّفُوا فِي كُتْبِهِمْ مَبْنَاهُ

وَالْحَقُّ أَنَّهُ بِرُتْبَةِ الْحَسَنْ ... لِغَيْرِهِ أَلْيَقُ فِي الرَّأْيِ الْحَسَنْ

عَنِ الْإِمَامَيْنِ : أَبِي الْحَجَّاجِ ... وَالذَّهَبِيِّ الْفَذِّ ذِي الْحِجَاجِ

{وَالْعِلْمُ خَيْرٌ مِن صَلَاةِ النَّافِلَهْ ... فَقَدْ غَذَا اللهُ بِرِزْقٍ كَافِلَهْ}

عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ قَدْ وَرَدْ ... وَالْحَافِظُ الْجَلَالُ ذَا الْقَوْلَ عَقَدْ

فِي« الْكَوْكَبِ السَّاطِعِ» فِي الْخِتَامِ ... بَعْدَ كَلَامِهِ عَنِ الْأَعْلَامِ

وَجَاءَ فِي مِصْرَاعِهِ الثَّانِي خَبَرْ ... لَمْ يَكُ فِي إِسْنَادِهِ بِالْمُعْتَبَرْ

وَهَذِهِ الْآثَارُ فِي الْعِلْمِ وَفِي ... أَرْبَابِهِ كَافِيَةٌ فَاكْتَفِي

بِهَا ، إِذِ الْمَقْصُودُ الِاسْتِشْهَادُ ... وَالْحَصْرُ - لَوْ أَمْكَنَ - لَا يُرَادُ

وَمَا بِرَابِعِ الْفُصُولِ أُورِدُ ... مِنَ الْأَحَادِيثِ بِهِ أَسْتَشْهِدُ

كَأَمْرِ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالْحِفْظِ يَصِحّ ... بِهَا هُنَا اسْتِشْهَادُنَا فَلْيَتَّضِحْ

بِذَاكَ أَنَّ الْحِفْظَ أُسُّ الْعِلْمِ ... وَهْوَ طَرِيقُ فِقْهِنَا وَالْفَهْمِ

فَاشْرُفْ بِالِاشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ وَلَا ... تَبْغِ بِهِ مَا عِشْتَ - يَا ذَا - بَدَلَا

وَيَا لَهُ مِنْ شَرَفٍ عَظِيمِ ... يَعْلُو عَلَى مَرْتَبَةِ السَّدِيمِ

وَالْفَرْقُ بَيْنَ عَالِمٍ وَجَاهِلِ ... كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْبُومِ وَالْبَلَابِلِ

وَالْبَوْنُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ كَمَا ... قَالَ الْهِلَالِيُّ مَقَالًا مُحْكَمَا

{الْعِلْمُ نُورٌ وَالْجَهَالَةُ حَلَكْ ... وَمَنْ سَرَى فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ هَلَكْ}

وَذَكَرَ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّهْ ... فِي سِفْرِهِ «الْمِفْتَاحِ» ذِي الْمَزِيَّهْ

مِنَ الْوُجُوهِ مَا يَسُرُّ النَّقَلَهْ ... فِي فَضْلِهِ وَفَضْلِ مَنْ قَدْ حَمَلَهْ

مَحْصُورَةً فِي مِائَةٍ مِنْ بَعْدِ ... خَمْسِينَ مَعْ ثَلَاثَةٍ فِي الْعَدِّ

مَطْلَبٌ

فِي ثَمَرَاتِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الْمُسْتَمَدِّ مِنَ الْوَحْيَيْنِ

وَثَمَرَاتُ الْعِلْمِ لَيْسَتْ تَنْحَصِرْ ... مَن ذَا الَّذِي يُحْصِي الْغَمَامَ الْمُنْهَمِرْ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ يَشْرُفُ ... إِلَّا بِكَسْبِ الْعِلْمِ فَهْوَ الشَّرَفُ

وَيَبْلُغُ الْمَنَازِلَ الْعُلْيَا بِهِ ... وَبَعْدَ ذَٰلِكَ الرِّضَا مِن رَبِّهِ

إِذَا اسْتَنَارَ الْقَلْبُ بِالْعِلْمِ انْشَرَحْ ... وَنَالَ مِنْ آثَارِهِ شَتَّىٰ الْمِنَحْ

وَانْقَادَ لِلْخَيْرَاتِ سَائِرُ الْبَدَنْ ... وَاشْتَاقَتِ النَّفْسُ إِلَىٰ الْفِعْلِ الْحَسَنْ

فَهْوَ دَوَاءُ كُلِّ قَلْبٍ مُدْنَفِ ... بِهِ النَّجَاةُ مِن حُصُولِ التَّلَفِ

وَأَنَّهُ الْعَاصِمُ لِلْأَجْيَالِ ... مِن طُرُقِ الْغُلُوِّ وَالضَّلَالِ

وَهُوَ الَّذِي يُنِيرُ دَرْبَ الْأُمَّهْ ... عِندَ حُلُولِ الْفِتَنِ الْمُلِمَّهْ

لِذَاكَ كَانَ أَفْضَلَ الْفَضَائِلِ ... لَا يَمْتَرِي بِذَاكَ أَيُّ عَاقِلِ

وَمَصْدَرُ الْعِلْمِ كِتَابُ اللَّهِ ... وَسُنَّةُ الْمُعَلَّمِ الْأَوَّاهِ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْبَارِي ... مَا سَبَّحَ النُّسَّاكُ فِي الْأَسْحَارِ

وَالْفِقْهُ فِيهِمَا هُوَ السَّبِيلُ ... إِلَىٰ حَيَاةِ الرُّشْدِ، وَالدَّلِيلُ

إِلَىٰ رِضَا الرَّحْمَٰنِ إِنْ هُوَ اقْتَرَنْ ... بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ذِي الْقَصْدِ الْحَسَنْ

مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَا ... مِن فِقْهِنَا فِي الدِّينِ فَاطْلُبْهُ، وَلَا

يَصْرِفْكَ عَنْهُ أَيُّ جَاهٍ أَوْ نَشَبْ ... لَاسِيَّما إِن كُنتَ فِي عَهْدِ الطَّلَبْ

وَلِلْهِلَالِيِّ كَلَامٌ يَحْسُنُ ... إِيرَادُهُ ، وَهُوَ إِمَامٌ مُتْقِنُ

{ وَالْعِلْمُ مَا أَكْسَبَ خَوْفَ اللهِ ... فَمَنْ خَلَا مِنْهُ فَفَدْمٌ لَاهِي

لِأَنَّهُ مِيرَاثُ الْأَنْبِيَاءِ ... فَلَمْ يَنَلْهُ غَيْرُ الْأَتْقِيَاءِ

لِذَاكَ قِيلَ الْعِلْمُ يَدْعُو الْعَمَلَا ... إِن يُلْفِهِ قَرَّ وَإِلَّا ارْتَحَلَا

دَلِيلُ ذَاكَ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ﴾ إِلَىٰ ... ﴿ الْعُلَمَاءُ ﴾ لَدَلِيلٌ انْجَلَىٰ

فَاعْمَلْ بِمَا عَلِمْتَ تُورَثْ عِلْمَ مَا ... لَمْ تَكُ تَعْلَمُ وَتُمْنَحْ مَغْنَمَا

وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَدَرَ الذُّنُوبِ ... يَكْسِفُ نُورَ الْعِلْمِ فِي الْقُلُوبِ

أَمَا تَرَىٰ الذُّبَالَ فِي الْمِصْبَاحِ ... إِذَا صَفَا أَرْضَاكَ فِي اسْتِصْبَاحِ

وَإِن يَكُن بِوَسَخٍ مُلَطَّخَا ... كَسَفَ نُورُهُ لِذَلِكَ الطُّخَا

وَاحْذَرْ عَلَى النُّورِ الَّذِي وُهِبْتَا ... وَإِن تُضِعْ نُورَ الْإِلَهِ خِبْتَا

وَزَيِّنِ الْعِلْمَ بِزِينَةِ الْوَرَعْ ... وَاقْنَعْ فَحَسْبُ الْحِرْصِ فِي الذُّلِّ كَرَعْ

إِنَّ الْقَنَاعَةَ أَعَزُّ مِلْكِ ... وَحِرْفَةُ الطَّمَعِ شَرُّ هُلْكِ

وَاطْلُبْ شِفَاءَ قَلْبِكَ الْمَرِيضِ ... مِن قَبْلِ أَن تَغَصَّ بِالْجَرِيضِ

وَلَا تَظُنَّ الْبُرْءَ مِنْ أَدْوَاكَا ... إِلَّا بِقَطْعِ النَّفْسِ عَنْ هَوَاكَا }

وَقَالَ فِي تَرْبِيَةِ الْجَوَارِحِ ... مَا عَزَّ أَن يُنسَجَ بِالْقَرَائِحِ

{ وَاحْتَلْ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِالتَّدْرِيجِ ... فَإِنَّهُ أَذْهَبُ لِلتَّحْرِيجِ

وَخَالِفَنَّهَا وَلَاتُطِعْهَا ... وَارْعَ الْوَدَائِعَ وَلَا تُضِعْهَا

وَهْيَ الْجَوَارِحُ الَّتِي يُكْتَسَبُ ... الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا وَيُجْلَبُ

وَهْيَ: لِسَانٌ، ثُمَّ فَرْجٌ، بَطْنُ ... يَدٌ، وَرِجْلٌ، ثُمَّ عَيْنٌ، أُذْنُ

سَبْعٌ كَأَبْوَابِ الْجَحِيمِ فِي الْعَدَدْ ... فَارْعَ جَمِيعَهَا وَأَلْزِمْهَا السَّدَدْ

فَإِنَّهَا مَسْؤُولَةٌ فِي الْآجِلِ ... شَاهِدَةٌ بِمَا جَنَتْ فِي الْعَاجِلِ

فَمَنْ عَصَىٰ بِوَاحِدٍ مِنْهَا فَقَدْ ... فَتَحَ بَابًا مِن جَحِيمٍ قَدْ وَقَدْ

وَأَصْلُهَا الْقَلْبُ فَعَالِجْ دَاءَهُ ... وَاحْشُ بِمَرْهَمِ التُّقَىٰ سَوْدَاءَهُ

صَلَاحُهُ صَلَاحُهَا لِمَن نَظَرْ ... وَالضِّدُّ بِالضِّدِّ كَمَا جَا فِي الْخَبَرْ

وَأَصْلُ دَاءِ الْقَلْبِ حُبُّ الْعَاجِلَهْ ... فَانبِذْهُ وَاحتَفِلْ لِأَمْرِ الْآجِلَهْ }

الْـفَـصْلُ الثَّـانِي

فِي تَـقْسِيمِ الْعُلُومِ إِلَىٰ عُلُومِ الْمَقَاصِدِ وَعُلُومِ الْوَسَائِـلِ
مَعَ ذِكْـرِ بَعْضِ التَّـقْسِيمَاتِ الدَّاخِلَةِ فِي هَـٰذَا التَّـقْسِيمِ، وَبَيَانِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَشْـتَغِلَ بِهِ طَالِبُ الْعِلْمِ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي سَائِـرِ الْعُلُومِ .

إِنَّ الْـعُلُـومَ تَـعْجِزُ الْأَلْبَابُ عَنْ ... تَـعْدَادِهَا وَحَصْرِهَا مَدَىٰ الزَّمَنْ
يَجْـمَعُـهَا قِـسْمَانِ يَشْـمَلَانِ ... شَتَّىٰ الْـعُلُومِ يَا ذَوِي الْـعِرْفَانِ
أَوَّلُ ذَيْـنِ بِالْمَـقَاصِدِ اشْتَـهَرْ ... وَهْيَ عُلُومُ شَرْعِنَا الزَّاكِي الْأَغَـرْ
كَـعِلْمِ تَوْحِيدِ الْـمُهَـيْمِنِ الْعَلِي ... وَعِلْمِ تَـفْسِيرِ الْكِـتَابِ الْمُنْزَلِ
وَالسُّنَنِ الـصِّحَاحِ وَالْآثَـارِ ... وَالْفِـقْهِ ، ثُمَّ سِيـرَةِ الْـمُخْـتَارِ
صَلَّىٰ عَلَـيْهِ اللهُ مَا الْـغَيْثُ انْـهَمَرْ ... وَرَدَّدَ الـتَّالُـونَ آيَـاتِ السُّوَرْ
وَالثَّانِ : مَا كَـانَ وَسِيلَـةً إِلَىٰ ... عُلُومِ شَرْعِ ذِي الْجَـلَالِ وَالْعُلَىٰ
يُسْمَىٰ اصْطِلَاحاً بِعُلُومِ الْآلَـهْ ... بِـهَا انْكِشَافُ حُجُبِ الْجَهَالَـهْ
وَجُـلُّهَا عَلَىٰ اللِّسَانِ الْـعَرَبِي ... مَعْـتَمِدٌ ثُـمَّ فُـنُونِ الْأَدَبِ
فِي ثَالِثِ الْفُـصُولِ يَأْتِي ذِكْـرُمَا ... يُـهِمُّ مِـنْهَا عِندَ كُـلِّ الْعُلَمَا
وَابْنُ جُـزَيٍّ جَعَلَ الْـعُلُومَ فِي ... «تَـقْرِيـبِهِ» ثَـلَاثَـةً فَلْتَعْرِفِ
مُـرَادَهُ إِذْ قَـدَّمَ الْـعَقْـلِيَّا ... فِي الـذِّكْـرِ ثُمَّ أَوْرَدَ النَّـقْلِـيَّا

فَالنَّقْلُ لَا يُفْهَمُ دُونَ الِابْتِدَا ... بِآلَةٍ لِفَهْمِهِ فَأَفْرَدَا

عِلْمَ أُصُولِ الْفِقْهِ بِالذِّكْرِ لِمَا ... حَوَىٰ مِنَ النَّقْلِ وَمَعْقُولٍ سَمَا

بِهِ يَكُونُ ثَالِثَ الْأَقْسَامِ ... مِن بَعْدِ ذَيْنِ عِندَ ذَا الْإِمَامِ

لِأَنَّ هَذَا الْعِلْمَ فِيهِ يُمْزَجُ ... اَلْعَقْلُ بِالنَّقْلِ ، وَمِنْهُ يُولَجُ

بِالنَّظَرِ الثَّاقِبِ فِي الدَّلِيلِ ... كَذَاكَ فِي الْمَدْلُولِ بِالتَّعْلِيلِ

وَقَدْ أَتَىٰ فِي « اللُّؤْلُؤِ النَّظِيرِ » ... لِـ« زَكَرِيَّا » النَّاقِدِ الْعَلِيمِ

بِأَنَّهَا أَرْبَعَةٌ : شَرْعِيَّهْ ... وَأَدَبِيَّةٌ كَذَا عَقْلِيَّهْ

ثُمَّ الرِّيَاضِيَّةُ ، وَالْجَمِيعُ قَدْ ... حَوَىٰ مِنَ الْأَنْوَاعِ مَا بِهِ انْفَرَدْ

وَنَظْمُهَا يَطُولُ فَانْظُرْ عَدَّهَا ... فِيهِ فَقَدْ عَدَّدَهَا وَحَدَّهَا

وَ « الذَّهَبِيُّ » قَسَّمَ الْعِلْمَ إِلَىٰ ... خَمْسَةِ أَقْسَامٍ كَمَا قَدْ أَجْمَلَا

ذَلِكَ فِي رِسَالَةِ « الْمَسَائِلِ » ... بَدْءًا ، مَعَ التَّفْصِيلِ بِالدَّلَائِلِ

فَمِنْهُ فَرْضٌ لَا يَكُونُ مُسْلِمَا ... عَبْدٌ بِدُونِهِ كَمَا قَدْ عُلِمَا

مِثْلُ الشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةِ ... وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ

يَعْلَمُهَا مِنْ غَيْرِ مَا تَفْصِيلِ ... مُسْتَيْقِناً بِهَا بِلَا تَعْلِيلِ

كَذَلِكَ التَّصْدِيقُ بِالَّذِي أَتَىٰ ... بِهِ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَىٰ ، وَثَبَتَا

عَنْهُ ، عَلَيْهِ بَارِئُ الْأَكْوَانِ ... صَلَّىٰ وَسَلَّمَ مَدَىٰ الْأَزْمَانِ

وَإِنَّ مِن فَرَائِضِ الْكِفَايَهْ ... حِفْظَ كِتَابِ اللهِ وَالدِّرَايَهْ
بِأُسُسِ الشَّرْعِ عَلَىٰ التَّفْصِيلِ ... وَطُرُقِ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ
وَمِنْهُ مَا اسْتُحِبَّ كَالْإِمْعَانِ فِي ... شَتَّىٰ عُلُومِ شَرْعِنَا الْمُشَرَّفِ
وَكُلُّ مَا لِذِي الْعُلُومِ مِن صِلَهْ ... مِنْ آلَةٍ وَمِنْ عُلُومٍ مُكْمِلَهْ
وَمِنْهُ مَا أُبِيحَ كَالْأَخْبَارِ ... وَسِيَرِ الْوُلَاةِ فِي الْأَقْطَارِ
وَمِنْهُ مَا يُكْرَهُ كَالْعِنَايَهْ ... بِجَمْعِ شِعْرِ زُمَرِ الْغَوَايَهْ
وَإِنَّ صَرْفَ الْوَقْتِ فِي التَّنَقِيبِ عَنْ ... أَشْعَارِهِمْ هُوَ الْفُضُولُ وَالْغَبَنْ
إِلَّا إِذَا كَانَ لِكَشْفِ الْبَاطِلِ ... فَإِنَّهُ ذَبٌّ عَنِ الْفَضَائِلِ
وَحِفْظُهُ مِن دُونِ تَنْبِيهٍ عَلَىٰ ... مَا يَخْدِشُ الْآدَابَ مِمَّا حُظِلَا
وَمِنْهُ مَا يَحْرُمُ كَالسِّحْرِ وَمَا ... يُوقِعُ فِي الزَّيْغِ إِذَا مَا عُلِمَا
وَمَا مَضَىٰ مِنْ أَضْرُبِ التَّقْسِيمِ ... عَنِ الْإِمَامَيْنِ لِذِي الْعُلُومِ
مُشْتَمِلٌ عَلَى الْعُلُومِ كُلِّهَا ... نَقْلاً وَعَقْلاً دِقِّهَا وَجِلِّهَا
وَكُلُّ تَقْسِيمٍ صَحِيحٌ إِن نُظِرْ ... إِلَيْهِ مِن كُلِّ النَّوَاحِي، فَانتَصِرْ
لِكُلِّ وَاحِدٍ، وَلَا تَعَارُضَا ... بَيْنَهُمُ كَلَّا وَلَا تَنَاقُضَا
فَكُلُّ وَاحِدٍ لَهُ مُرَادُ ... وَكُلُّهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ وُرَّادُ
عَلَيْهِمُ رَحْمَةُ ذِي الْجَلَالِ مَا ... وَدْقٌ هَمَىٰ وَمَا الْهَزَارُ رَنَّمَا

وَ «لْيَهْنِكَ الْعِلْمُ» بُنَيَّ فَابْتَذِلْ ... نَفْسَكَ فِي تَحْصِيلِهِ وَ لْتَحْتَفِلْ

بِحِفْظِكَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الطَّلَبِ ... فَهْوَ عِمَادُ الشَّرَفِ الْمُرْتَقَبِ

وَلْيَقْتَرِنْ حِفْظُكَ بِالتَّجْوِيدِ ... رِوَايَةً عَنْ قَارِئٍ مُجِيدِ

وَلْتَسْتَجِزْهُ كَيْ تُجِيزَ غَيْرَكَا ... فَارْفَعْ بِإِسْنَادِ الْعُلُومِ قَدْرَكَا

وَثَبِّتَنْ حِفْظَكَ بِالْمُرَاجَعَهْ ... فَإِنْ نَسِيتَهُ فَتِلْكَ الْفَاجِعَهْ

وَلْيَحْسُنِ الشُّرُوعُ فِي الْحَدِيثِ ... مِنْ بَعْدِ حِفْظِ أَحْسَنِ الْحَدِيثِ

وَهَكَذَا اشْرَعْ فِي الْعُلُومِ سَالِكَا ... مَسَالِكَ الْأَسْلَافِ حَتَّىٰ تُدْرِكَا

مِنْهَاجَهُمْ فَالْخَيْرُ فِي اتِّبَاعِهِمْ ... فَكُنْ - رُزِقْتَ الْفِقْهَ - مِنْ أَتْبَاعِهِمْ

الْـفَصْلُ الـثَّالِثُ

فِي بَيَانِ أَهَمِّ أُسُسِ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِي

إِذَا شَرَعْتَ يَا بُنَيَّ فِي الطَّلَبْ ... فَلْتَسْأَلِ الرَّحْمَـٰنَ تَيْسِيرَ الْأَرَبْ

وَاطْلُبْهُ طِبْقَ الْمَنْهَجِ الْأَصِيلِ ... مُعْتَنِياً بِأُسُسِ التَّحْصِيلِ

هَـٰذَا الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ ... فِي سَائِرِ الْعُصُورِ يَا ذَا الْفَهْمِ

وَهَـٰذِهِ الْأُسُسُ سِتَّةَ عَشَرْ ... جَمَعْتُهَا عَلَىٰ مَدَارِ اثْنَيْ عَشَرْ

عَامًا ، وَلَسْتُ دَائِمَ التَّفْكِيرِ ... فِيهَا وَلَـٰكِنْ حَسَبَ التَّنقِيرِ

فِي الْكُتْبِ ، وَالْحِوَارِ ، مَعْ سُؤَالِ ... أَشْيَاخِنَا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

أَوَّلُهَا الْأَخْذُ عَنِ الشُّيُوخِ ... أَهْلِ التُّقَىٰ وَالسَّمْتِ وَالرُّسُوخِ

وَسَائِرُ الْأُسُسِ تَأْتِي تَابِعَهْ ... أَهَمُّهَا : حَصْرُ الْمُتُونِ النَّافِعَهْ

بِنَسْخِ مَالَمْ تُلْفِهِ مَطْبُوعَا ... مِن قَبْلِ أَن تَرْوِيَهُ مَسْمُوعَا

وَالضَّبْطُ ، ثُمَّ الْحِفْظُ ، فَالسَّمَاعُ ... بِذَٰلِكُمْ يَحْصُلُ الِانتِفَاعُ

فَهَـٰذِهِ أَرْبَعَةٌ بِالْأَوَّلِ ... رِبَاطُهَا فَاحْذَرْ رِبَاطَ الْكَسَلِ

وَاحْرِصْ عَلَىٰ الْمَنظُومِ فَهْوَ أَسْهَلُ ... لِلْحِفْظِ مِن نَثْرٍ ، وَمِنْهُ أَجْمَلُ

وَهُوَ لِطُلَّابِ الْعُلُومِ أَنفَعُ ... وَلِلْفَوَائِدِ الْحِسَانِ أَجْمَعُ

مِنْ أَجْلِ هَـٰذَا عَوَّلَ الْأَعْلَامُ ... عَلَيْهِ ، وَانْبَرَتْ لَهُ الْأَقْلَامُ

وَالسَّادِسُ التَّقْدِيمُ لِلْوَسَائِلِ ... فَإِنَّهَا الْمِعْرَاجُ لِلْفَضَائِلِ

فَابْدَأْ بِعِلْمِ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْـ ... ـأَصْلَيْنِ وَالْفَصِيحِ تُحْرِزِ الْأَمَلْ

مَعَ الْبَلَاغَةِ وَأَنْوَاعِ الْأَدَبْ ... لَاسِيَّمَا الْمُخْتَارُ مِن شِعْرِ الْعَرَبْ

وَخُضْ عُلُومَ الشَّرْعِ بَعْدَ ذَٰلِكَا ... يُذَلِّلِ اللهُ لَكَ الْمَسَالِكَا

وَالسَّابِعُ الْمَبَادِئُ الْعَشْرِيَّهْ ... لِكُلِّ عِلْمٍ يَنفَعُ الْبَرِيَّهْ

وَهْيَ اسْمُهُ ، وَحَدُّهُ ، وَنِسْبَتُهْ ... مَوْضُوعُهُ ، وَاضِعُهُ ، ثَمَرَتُهْ

كَذَٰلِكَ اسْتِمْدَادُهُ ، فَضَائِلُهْ ... وَحُكْمُهُ ، خِتَامُهَا مَسَائِلُهْ

وَبَعْضُهُمْ بِبَعْضِهَا قَدِ اكْتَفَىٰ ... فَادْرِ الْجَمِيعَ إِنْ أَرَدتَ الشَّرَفَا

وَالثَّامِنُ الشُّرُوعُ فِي الشُّرُوحِ ... فَإِنَّهَا الْمِرْقَاةُ لِلطُّمُوحِ

وَالشَّرْحُ يُؤْخَذُ عَنِ الشَّيْخِ كَمَا ... فِي الْأُسُسِ الْخَمْسَةِ الْأُولَىٰ فَافْهَمَا

فَالشَّيْخُ مِحْوَرٌ لِكُلِّ الْأُسُسِ ... فَاخْتَرْ مِنَ الشُّيُوخِ كُلَّ كَيِّسِ

لِكَوْنِ ذِي الْأُسُسِ لَا تَحَقَّقُ ... مِن دُونِهِمْ فَهُمْ إِلَيْهَا أَسْبَقُ

وَالتَّاسِعُ التَّدْوِينُ لِلْفَوَائِدِ ... كَذَٰلِكَ التَّقْيِيدُ لِلشَّوَارِدِ

فَدَوِّنَنْ أَحْسَنَ مَا سَمِعْتَا ... ثُمَّ احْفَظَنْ أَحْسَنَ مَا كَتَبْتَا

وَحَدِّثَنْ بِأَحْسَنِ الْمَحْفُوظِ ... لَدَيْكَ ، تِلْكَ قَوْلَةُ الْمَحْظُوظِ

أَعْنِي الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ ذَا اللَّسَنْ ... وَالْمَحْتِدِ الْكَرِيمِ وَالرَّأْيِ الْحَسَنْ

وَالْعَاشِرُ التَّكْرَارُ وَالْمُرَاجَعَهْ ... لِلْحِفْظِ وَالشَّرْحِ مَعَ الْمُتَابَعَهْ

وَقَدِّمِ الْأَهَمَّ وَهْوَ الْحَادِي ... فَالْعِلْمُ جَمٌّ يَا أَخَا الْأَمْجَادِ

يَتْلُوهُ وَهْوَ حَتْمُ التَّدَرُّجُ ... مَنْ حَادَ عَنْهُ لِلْعُلَى لَا يَعْرُجُ

فَابْدَأْ بِمَتْنٍ جَامِعٍ مُخْتَصَرِ ... فِي كُلِّ عِلْمٍ وَانْتَقِلْ لِآخَرِ

يَكُونُ مِنْهُ فِي الْبَيَانِ أَشْمَلَا ... ثُمَّ اقْتَحِمْ مِن بَعْدِهِ الْمُطَوَّلَا

وَهَاكَ مِنْ «أَلْفِيَّةِ السَّنَدِ» مَا ... شَيْخُ زَبِيدٍ قَالَهُ فَأَحْكَمَا

[فَإِنَّ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ تَخْتَلِطْ ... وَبَعْضُهَا بِشَرْطِ بَعْضٍ مُرْتَبِطْ

فَمَا حَوَى الْغَايَاتِ فِي أَلْفِ سَنَهْ ... شَخْصٌ فَخُذْ مِنْ كُلِّ فَنٍّ أَحْسَنَهْ

بِحِفْظِ مَتْنٍ جَامِعٍ لِلرَّاجِحِ ... تَحْلُهُ عَلَى مُفِيدٍ نَاصِحِ

ثُمَّ مَعَ الْفُرْصَةِ فَابْحَثْ عَنْهُ ... حَقِّقْ وَدَقِّقْ وَاسْتَمِدَّ مِنْهُ

لَكِنَّ ذَاكَ بِاخْتِلَافِ الْفَهْمِ ... مُخْتَلِفٌ وَبِاخْتِلَافِ الْعِلْمِ

فَالْمُبْتَدِي وَالْفَدْمُ لَا يُطِيقُ ... بَحْثاً بِعِلْمٍ وَجْهُهُ دَقِيقُ

وَمَنْ يَكُنْ فِي فَهْمِهِ بَلَادَهْ ... فَلْيَصْرِفِ الْوَقْتَ إِلَى الْعِبَادَهْ

أَوْ غَيْرِهَا مِنْ كُلِّ ذِي ثَوَابِ ... وَلَوْ بِحُسْنِ الْقَصْدِ فِي الْأَسْبَابِ]

وَإِنَّ مَنْ عَلَى صِغَارِ الْعِلْمِ ... قَبْلَ كِبَارِهِ بِحُسْنِ الْفَهْمِ

رَبَّى التَّلَامِيذَ هُوَ الرَّبَّانِي ... ذُو الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ

وَفِي كِتَابِ الْعِلْمِ فِي الْبُخَارِي ... عُلِّقَ، وَالْمَعْنَى بِـ«فَتْحِ الْبَارِي»

وَثَالِثٌ مِن بَعْدِ عَشْرَةٍ أَتَىٰ ... حُسْنُ سُؤَالٍ وَاسْتِمَاعٍ يَا فَتَىٰ

هُمَا الْجَنَاحَانِ لِكَسْبِ الْعِلْمِ ... وَبِهِمَا فَاصْعَدْ سَمَاءَ الْفَهْمِ

وَاطْلُبْهُ مَقْرُوناً بِخَالِصِ الْعَمَلْ ... لِلَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ جَلَّ

فَذَا الْأَسَاسُ رَابِعٌ مِن بَعْدِ ... عَشَرَةٍ : خَامِسُهَا فِي الْقَصْدِ

أَن نَتَحَلَّىٰ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ... بِأَكْرَمِ الْخِصَالِ وَالْآدَابِ

وَحَسْبُنَا مَا قَالَ فِي «النَّصِيحَهْ» ... حَمَّادٌ الْمِقْوَلُ ذُو الْقَرِيحَهْ

مُسْتَنْبِطًا مِن قِصَّةِ الْكَلِيمِ ... وَالْخَضِرِ الْمُحَدَّثِ الْعَلِيمِ

سَبْعَةَ آدَابٍ ، وَفِي بَيْتٍ لَهُ ... دَوَّنَهَا فَاحْفَظْهُ مَا أَجْمَلَهُ

{لَهْ تَغَرَّبْ ، وَتَوَاضَعْ ، وَاتَّرِعْ ... وَجُعْ، وَهُنْ، وَاعْصِ هَوَاكَ، وَاتَّبِعْ}

وَهَذِهِ وَغَيْرُهَا سَتُذْكَرُ ... فِي بَابِهَا ، وَعَدُّهَا لَا يُحْصَرُ

أَفْرَدتُهَا لِمَا لَهَا مِن شَانِ ... فَهْيَ لَهُ كَالسُّورِ لِلْبُنْيَانِ

وَسَادِسٌ مِن بَعْدِ عَشْرَةٍ فَعِ ... تَثْبِيتُهُ بِنَشْرِهِ فِي الْأَرْبُعِ

بِالدَّرْسِ وَالتَّصْنِيفِ وَالْإِفْتَاءِ ... وَذَا لِمَنْ أَضْحَىٰ مِنَ الْأَكْفَاءِ

وَأَخْذُنَا الْعِلْمَ لَهُ مَرَاتِبْ ... خَمْسٌ رَوَاهَا سَابِقٌ وَعَاقِبْ

عَنِ ابْنِ مُتَّالِي الْمُحَقِّقِ الْعَلَمْ ... فِي نَظْمِهِ الْمَشْهُورِ فَاحْفَظْ مَا رَسَمْ

{كَتْبٌ ، إِجَازَةٌ ، وَحِفْظُ الرَّسْمِ ... قِرَاءَةٌ ، تَدْرِيسٌ آخُذُ الْعِلْمِ

وَمَن يُقَدِّمْ رُتْبَةً عَنِ الْمَحَلْ ... مِن ذِي الْمَرَاتِبِ الْمَرَامَ لَمْ يَنَلْ}

الْـفَصْلُ الرَّابِـعُ

فِي بَيَانِ أَنَّ الْحِفْظَ أَهَمُّ هَـٰذِهِ الْأُسُسِ بَـعْـدَ التَّـلَقِّي عَلَىٰ أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ

وَالْحِفْظُ أَوْلَىٰ مَا مَضَىٰ مِنْ أُسُسِ ... فَادْأَبْ عَلَيْهِ فِي الضُّحَىٰ والْغَلَسِ

وَكُـلَّ حِينٍ مَا حَيِيتَ وَاصْطَبِرْ ... عَلَيْـهِ وَاسْأَلِ الْمَلِيكَ الْـمُقْـتَدِرْ

سُبْحَانَـهُ الـتَّوْفِـيقَ وَالتَّثْبِـيتَا ... عَلَىٰ الْـهُدَىٰ وَالـرُّشْدِ مَاحَيِيتَا

وَأَن تَكُونَ حَافِـظًـا مُسْتَحْـضِرا ... تُـمْطِرُ طُـلَّابَ الْـعُلُـومِ الدُّرَرَا

{مَنْ مُنِحَ الْحِفْظَ - رُزِقْـتَهُ - وَعَىٰ} ... وعَاشَ فِي أَوْهَامِـهِ مَن ضَيَّعَا

لِأَنَّـهُ لِـفَـهْـمِـنَا الْأَسَاسُ ... وَحَظُّ مَن يَـتْـرُكُهُ الْإِفْـلَاسُ

وَالْحِفْظُ مِنْ خَصَائِصِ الْعُرْبِ كَمَا ... أَتَىٰ عَنِ الْـمُخْتَارِ نَصًّا مُحْكَمَا

أَلْـفَاظُـهُ كَـمَا أَتَتْ مَرْوِيَّـهْ ... بِـالنَّـصِّ «إِنَّـا أُمَّـةٌ أُمِّـيَّـهْ»

أَتْـبَعَهَا بِقَوْلِـهِ: «لَانَكْـتُبُ» ... وَبَعْدَ وَاوِ الْعَطْفِ جَا «لَانَحْسُبُ»

وَهُوَ حَـدِيثٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَرَدْ ... صَلَّىٰ عَلَىٰ قَائِـلِهِ الْفَرْدُ الصَّمَدْ

وَالْأَمْرُ بِالْحِفْظِ أَتَىٰ صَرِيـحَا ... عَنِ النَّـبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ صَحِيحَا

كَـذَا أَتَىٰ عَنْ صَحْبِهِ الْأَبْـرَارِ ... وَالـتَّـابِـعِـيـنَ السَّادَةِ الْأَخْـيَارِ

أَثْـنَىٰ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ مَنْ بَـعْـدَهُمْ ... نَبِيُّـنَا فَقَالَ: «خَـيْرُ النَّاسِ» هُمْ

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ اشْتِهَارُهُ ثَبَتْ ... مِن طُرُقٍ كَـثِـيـرَةٍ تَـعَـدَّدَتْ

بَلِ اسْتَفَاضَ فِيهِمَا ، وَإِن تُرِدْ ... ثُبُوتَهُ فِي غَيْرِ ذَيْنِ فَأَعِدْ

لِذَلِكَ الْعُدَّةَ لَكِنِّي أَرَىٰ ... أَنْ يُكْتَفَىٰ بِمَنْ حَكَى التَّوَاتُرَا

أَعْنِي بِهِ الْحَافِظَ فِي «الْإِصَابَهْ» ... فَكَمْ لَهُ فِي الْبَحْثِ مِنْ إِصَابَهْ

وَأَمْرُ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالْحِفْظِ أَتَىٰ ... لِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ حَيْثُ ثَبَتَا

عَنْهُ صَرِيحًا أَمْرُهُ بِحِفْظِ مَا ... بَيَّنَ مِنْ حِلٍّ وَمَا قَدْ حَرَّمَا

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ «احْفَظُوهُ» ... فَإِنْ أَتَيْتُمْ قَوْمَكُمْ فَارْوُوهُ

أَلْفَاظُهُ كَثِيرَةٌ مُحَرَّرَهْ ... وَفِي الصَّحِيحَيْنِ رَوَاهَا الْمَهَرَهْ

وَفِي حَدِيثٍ ثَابِتٍ عَنْهُ دَعَا ... لِحَافِظِي سُنَّتِهِ نِعْمَ الدُّعَا

فَقَالَ فِيهِ «نَضَّرَ اللهُ امْرَءَا ... سَمِعَ مِنِّي» مَا أَقُولُ وَرَأَىٰ

أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يُبَلِّغَهْ ... لِغَيْرِهِ كَمَا وَعَىٰ ، فَبَلَّغَهْ

وَ«رَحِمَ اللهُ امْرَءًا» قَدْ ثَبَتَا ... عَنِ ابْنِ ثَابِتٍ صَرِيحًا ، وَأَتَىٰ

ذَلِكَ فِي سِفْرِ ابْنِ حِبَّانَ كَمَا ... حَوَاهُ «الْإِحْسَانُ» بِتَرْتِيبٍ سَمَا

وَجَاءَ فِيهِ قَوْلُهُ : «فَحَفِظَهْ» ... وَذَاكَ خَيْرُ شَاهِدٍ فَلْتَحْفَظَهْ

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَرَدْ ... إِذْ صَحَّ عَنْهُ مِن وُجُوهٍ لَا تُرَدْ

وَكَمْ لَهُ مِن شَاهِدٍ مَنْقُولِ ... يُرْوَىٰ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْفُحُولِ

نَحْوُ ثَلَاثِينَ مِنَ الْأَصْحَابِ ... رَوَوْهُ عَمَّن جَاءَ بِالْكِتَابِ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْبَاقِي ... مَا انْبَعَثَتْ نَوَازِعُ الْأَشْوَاقِ

وَعَدَّهُ الْحَافِظُ فِيمَا اشْتَهَرَا ... وَعِندَ قَوْمٍ يَبْلُغُ التَّوَاتُرَا

ثُمَّ أَتَىٰ الْأَمْرُ بِحِفْظِ الْعِلْمِ عَنْ ... بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَحُرَّاسِ السُّنَنْ

مِن تَابِعِيهِمْ: فَابْنُ قَيْسٍ قَدْ زَجَرْ ... مَن رَامَ أَن يَكْتُبَ عَنْهُ بَلْ أَمَرْ

أَن يُحْضِرُوا مَاءَ لَهُ لِيَغْسِلَا ... مَا كَتَبُوا ، بَلْ قَالَ فِيمَا نُقِلَا

لَا تَكْتُبُوا بَلِ احْفَظُوا عَنَّا كَمَا ... كُنَّا حَفِظْنَا عَنْ إِمَامِ الْعُلَمَا

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْخَالِقُ ... الصَّمَدُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ الرَّازِقُ

وَمَا أَتَىٰ عَنِ ابْنِ قَيْسٍ ثَبَتَا ... وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ لَفْظُهُ أَتَىٰ

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَالِكٍ وَرَدْ ... فِي الدَّارِمِيِّ إِذْ بِهِ صَحَّ السَّنَدْ

عَنْهُ ، وَزَادَ قَوْلَهُ: لَن نَجْعَلَا ... ذَٰلِكَ قُرْآنًا ، وَهَٰذَا نُقِلَا

عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَصْحَابِ ... وَالتَّابِعِينَ الْكُمَّلِ الْأَنْجَابِ

«لَا نَكْتُبُ الْعِلْمَ وَلَا نُكْتِبُهُ» ... قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، كَذَا يَنْسِبُهُ

إِلَىٰ ابْنِ صَخْرٍ حَافِظِ الْإِسْلَامِ ... بَعْضٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ

ثُمَّ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ قَدْ سَارَا ... مِن تَابِعِيهِمْ مَن نَحَا الْإِنكَارَا

أَشْهَرُهُمْ عَبِيدَةُ وَالنَّخَعِي ... ثُمَّ ابْنُ سِيرِينَ الْإِمَامُ اللَّوْذَعِي

كَذَٰلِكَ الزُّهْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِي ... لَمْ يَكْتُبَا فِي مَجْلِسِ السَّمَاعِ

وَذَكَرَ الشَّعْبِيُّ : مَا كَتَبْتُ ... سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ أَوْ رَغِبْتُ

فِي أَن يُعَادَ مَا سَمِعْتُ أَبَدَا ... يَالَهْفَ قَلْبِي وَيْحَهُ مَا أَبْلَدَا

أَصْلِحْهُ يَارَبَّاهُ وَامْنَحْنِي الْهُدَىٰ ... وَالْحِفْظَ وَالْفِقْهَ وَعَيْشَ السُّعَدَا

وَهَبْ لِكُلِّ السَّالِكِينَ ذَٰلِكَا ... وَاجْنُبْهُمُ الْمَسَالِكَ الْحَوَالِكَا

ثُمَّ أَتَىٰ مِن بَعْدِهِمْ مَن شَدَّدَا ... فِي مَسْلَكِ الْحِفْظِ فَكَبَّلَ الْيَدَا

كَثَعْلَبٍ إِذْ قَالَ وَهْوَ الْعَجَبُ ... فِي حِفْظِهِ وَفَارِسٌ لَا يُغْلَبُ

إِذَا أَرَدتَ أَن تَكُونَ عَالِمَا ... فَلْتَكْسِرِ الْيَرَاعَ تَبْقَ الرَّاقِمَا

لِمَا سَمِعْتَ فِي رَقِيمِ صَدْرِكَا ... مُدَوِّنًا ذَٰلِكَ فِي تَامُورِكَا

وَمَا مَضَىٰ مِن نَهْيِهِمْ عَن كَتْبِ مَا ... قَدْ سَمِعُوا مِنَ الْعُلُومِ إِنَّمَا

ذَٰلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى التَّدْوِينِ فِي ... مَجَالِسِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يُعَنَّفِ

مَن دَوَّنُوا مِنْ حِفْظِهِمْ مَا سَمِعُوا ... فَحَفِظُوا الْعِلْمَ وَلَمْ يُضَيِّعُوا

وَبَعْضُهُمْ قَدْ خَافَ مِنْ هِجْرَانِ ... طُلَّابِهِ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ

بِالِاشْتِغَالِ بِالْحَدِيثِ فَمَنَعْ ... تَدْوِينَ سُنَّةِ الرَّسُولِ الْمُتَّبَعْ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللَّهُ مَا ... أَطْلَعَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ الْأَنْجُمَا

أَوْ خَافَ الِاتِّكَالَ كَاتِّكَالِنَا ... عَلَىٰ وُجُودِ الْكُتْبِ فِي زَمَانِنَا

فَجَعَلُوا الْحِفْظَ لَهُمْ وَسِيلَهْ ... إِلَىٰ بُلُوغِ الرُّتْبَةِ الْجَلِيلَهْ

فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ فَنَالُوا الشَّرَفَا ... وَاللهُ خَصَّهُمْ بِذَا وَشَرَّفَا

وَقَدْ رَوَىٰ الْخَطِيبُ فِي «التَّقْيِيدِ» مِنْ ... أَخْبَارِهِمْ مَا فِيهِ ذِكْرَىٰ لِلْفَطِنْ

وَبَعْضُهَا قَدْ جَاءَ فِي «الْمُحَدِّثِ» ... لِلْحَسَنِ الْأَدِيبِ وَالْمُحَدِّثِ

وَمِنْهُمُ مَنْ كَانَ يَمْحُو مَا كَتَبْ ... إِذْ كُلُّ مَا دَوَّنَهُ حَتْمًا وَعَبْ

فَالْخَطُّ عِنْدَهُمْ وَسِيلَةٌ إِلَىٰ ... حِفْظِهِمُ الْعِلْمَ كَمَا قَدْ نُقِلَا

عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ كَمَسْرُوقٍ وَمَنْ ... أَبَانَ ذَا كَمَالِكٍ نَجْمِ السُّنَنْ

وَالْمَحْوُ بَعْدَ الْحِفْظِ غَيْرُ مُمْكِنِ ... فِي عَصْرِنَا ، وَيَالَهُ مِن زَمَنِ

نَرَىٰ بِهِ الْوَسَائِلَ الْعَجِيبَهْ ... وَنَسْمَعُ الطَّرَائِقَ الْغَرِيبَهْ

لَكِنْ سَيَبْقَىٰ الْحِفْظُ خَيْرَ مُسْعِفِ ... لِلطَّالِبِينَ بَلْ هُوَ الْحِلُّ الْوَفِي

لَوْ رَكَّبُوا الْأَقْرَاصَ فِي عُيُونِنَا ... وَأَوْدَعُوا الْحَاسِبَ فِي صُدُورِنَا

لَنْ نَجْنِيَ الْعِلْمَ بِدُونِ الْحِفْظِ يَا ... بُنَيَّ فَلْتَكُنْ بِهِ مُعْتَنِيَا

وَلْتَنْتَفِعْ بِهَذِهِ الْوَسَائِلِ ... مِن دُونِ إِسْرَافٍ وَلَا تَوَاكُلِ

مَبْحَثٌ فِي التَّدْوِينِ الرَّسْمِيِّ لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ الْمِائَةِ

وَبَعْدَ أَن جَاءَ الْفَتَىٰ الْمَرْوَانِي ... الرَّاشِدُ الْمُسَدَّدُ الرَّبَّانِي

شَاوَرَ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي تَدْوِينِ ... سُنَّةِ خَيْرِ خَلْقِهِ الْأَمِينِ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مَنْ خَتَمْ ... بِهِ جَمِيعَ الرُّسْلِ وَالْوَحْيَ أَتَمْ

وَكَانَ ذَا الْأَمْرُ عَلَىٰ رَأْسِ الْمِائَهْ ... يُعِينُهُ فِي ذَٰلِكُمْ خَيْرُ فِئَهْ

مِن تَابِعِي أَصْحَابِ خَيْرِ الرُّسُلِ ... مِثْلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ الْوَلِي

وَابْنِ شِهَابٍ وَكَذَاكَ الْقَاسِمُ ... وَغَيْرُهُمْ، تَحْدُوهُمُ الْعَزَائِمُ

فَأَجْمَعُوا عَلَىٰ كِتَابَةِ السُّنَنْ ... حِفْظًا لَهَا مِنَ الْعَوَادِي وَالْمِحَنْ

وَقِيلَ : إِنَّ ابْنَ شِهَابٍ سَبَقَا ... سِوَاهُ، لَا غَرْوَ يَكُونُ الْأَسْبَقَا

وَأَصْبَحَتْ مَجَالِسُ التَّحْدِيثِ ... تَزْخَرُ بِالتَّدْوِينِ لِلْحَدِيثِ

وَازْدَحَمَتْ بِرُزَمِ الدَّفَاتِرِ ... تَزْدَانُ بِالْأَقْلَامِ وَالْمَحَابِرِ

لَٰكِنَّهُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَّكِلُوا ... فَحَفِظُوا مَا بِالْيَرَاعِ سَجَّلُوا

وَبَقِيَ الْحِفْظُ دَلِيلَ الطَّالِبِ ... بِهِ يَنَالُ غَايَةَ الْمَآرِبِ

مِنْ أَجْلِ هَٰذَا كَانَ أَقْوَىٰ الْأُسُسِ ... فَاحْرِصْ عَلَيهِ يَا بُنَيَّ وَانْتَسِ

بِالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ ثُمَّ مَن مَضَىٰ ... عَلَى الْخُطَىٰ ، فَهْوَ السَّبِيلُ الْمُرْتَضَىٰ

وَاسْمَعْ لِمَا أَسْنَدَهُ الْخَطِيبُ فِي ... جَامِعِهِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّيْرَفِي

{ لَيْسَ بِعِلْمٍ مَاحَوَى الْقِمَطْرُ ... مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا حَوَاهُ الصَّدْرُ

فَذَاكَ فِيهِ شَرَفٌ وَفَخْرُ ... وَرُتْبَةٌ جَلِيلَةٌ وَقَدْرُ }

وَجُلُّنَا يَحْفَظُ قَوْلَ الرَّحَبِي ... فِي نَظْمِهِ الْمُحَرَّرِ الْمُسْتَعْذَبِ

إِذْ قَالَ وَهْوَ حَافِظٌ هُمَامُ ... {فَاحْفَظْ فَكُلُّ حَافِظٍ إِمَامُ}

وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي ... أَوَّلِ نَظْمِهِ « الْفَصِيحَ » فَاعْرِفِ

{وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ إِذَا لَمْ يَنْضَبِطْ ... بِالْحِفْظِ لَمْ يَنْفَعْ وَمَنْ مَارَىٰ غَلِطْ}

وَهَاكَ يَابُنَيَّ قَوْلاً سَالِفَا ... {يَا أَيُّهَا الْمُضَمِّنُ الصَّحَائِفَا

مَا قَدْ رَوَىٰ يُضَارِعُ الْمَصَاحِفَا ... اِحْفَظْ وَإِلَّا كُنتَ رِيحًا عَاصِفَا}

وَمُودِعُ الْعِلْمِ الْقَرَاطِيسَ يُذَمْ ... مِن دُونِمَا حِفْظٍ لَدَىٰ أَهْلِ الْهِمَمْ

لَاخَيْرَ فِي عِلْمٍ فَتَىً لَا يَعْبُرُ ... بِهِ - بُنَيَّ - وَادِيًا أَوْ يَعْمُرُ

بِهِ النَّوَادِي قَالَهُ الْحَكِيمُ ... وَهْوَ كَلَامٌ مُحْكَمٌ قَوِيمُ

لِذَا لِكُمْ مَنْ حَفِظَ الْمُتُونَا ... حَازَ - وَيَالَلشَّرَفِ - الْفُنُونَا

كَذَا لِكُمْ مَنْ حَفِظَ الْأُصُولَا ... فَإِنَّهُ قَدْ ضَمِنَ الْوُصُولَا

وَكُلُّ مَن ضَيَّعَهَا قَدْ حُرِمَا ... طِيبَ الْوُصُولِ فَاجْتَهِدْ كَيْ تَغْنَمَا

وَاسْعَ بِجِدٍّ وَاجْعَلَنْ مِحْبَرَتَكْ ... أُذْنَيْكَ ، وَلْيَكُ الْفُؤَادُ دَفْتَرَكْ

فَالْعِلْمُ مَا ثُبِّتَ فِي الْخَوَاطِرِ ... وَلَيْسَ مَا أُودِعَ فِي الدَّفَاتِرِ

شُبْهَةٌ دَاحِضَةٌ

وَبَعْدَ مَا مَضَىٰ مِنَ الْبَيَانِ ... وَاتَّضَحَ الْحَقُّ لِذِي عِرْفَانِ

إِيَّاكَ يَا بُنَيَّ أَن تَنْخَدِعَا ... بِشُبْهَةٍ نَسَجَهَا مَنِ ادَّعَىٰ

بِأَنَّ حِفْظَنَا الْمُتُونَ مَضْيَعَهْ ... لِلْوَقْتِ مِن دُونِ اجْتِلَابِ مَنفَعَهْ

دَعْوَاهُمُ أَن يَفْهَمَ الصَّغِيرُ ... مِن دُونِ تَلْقِينٍ بِهِ يَصِيرُ

لِلْعِلْمِ مُبْغِضًا شُرُودَ الْفَهْمِ ... فَالْفَهْمُ وَحْدَهُ طَرِيقُ الْعِلْمِ

وَأَنَّ مَن يَحْفَظُ مِثْلَ الْبَبَّغَا ... وَغَيْرُ هَٰذَا مِنْ هُرَاءٍ وَرُغَا

إِذْ قِيلَ عَنْ حَافِظِ وَحْيِ الصَّمَدِ ... زِيدَتْ لَدَيْنَا نُسْخَةٌ فِي الْبَلَدِ

قَدْ نَجَحَ الْأَعْدَاءُ فِي إِقْنَاعِنَا ... بِهَٰذِهِ الشُّبْهَةِ فِي أَوْطَانِنَا

وَأَوْهَمُونَا أَنَّ حَمْلَ اللَّقَبِ ... هُوَ دَلِيلُ الْعِلْمِ، يَا لَلْعَجَبِ

مِنْ أَجْلِ أَن يَنشَأَ جِيلٌ جَاهِلُ ... مِنْ حِلْيَةِ الْعِلْمِ الْعَظِيمِ عَاطِلُ

لِذَا رَأَيْنَا زُمَرًا قَدْ حَمَلُوا ... أَعْلَى الشَّهَادَاتِ، وَمَا تَحَمَّلُوا

مِنَ الْعُلُومِ غَيْرَ مَا قَدْ نَقَلُوا ... فِي تِلْكُمُ الْأَبْحَاثِ يَا مَن يَعْقِلُ

إِلَّا الَّذِينَ أَخَذُوا أَنفُسَهُمْ ... بِالْمَنْهَجِ الْأَسْمَىٰ وَمَا أَقَلَّهُمْ

فَالْحِفْظُ يَا قَوْمُ طَرِيقُ الْفَهْمِ ... ثُمَّ هُمَا مِنْهَاجُنَا فِي الْعِلْمِ

إِذَا سَلَكْنَا مَسْلَكَ التَّدَرُّجِ ... وَتَرْكُهُ هُوَ انتِهَاجُ الْعِوَجِ

هَلْ حَافِظُ الْقُرْآنِ مِثْلُ الْجَاهِلِ ... بِمَوْضِعِ السُّورَةِ وَالْفَوَاصِلِ
لَا يَعْرِفُ السُّورَةَ حَتَّىٰ يَنظُرَا ... فِي فِهْرِسِ الْمُصْحَفِ هَٰذَا إِن دَرَىٰ
مَوْضِعَهَا ، وَرُبَّمَا قَدْ وَعَبَا ... مِنَ الْأَغَانِي مَا يُثِيرُ الْعَجَبَا
مَعْ حِفْظِهِ أَسْمَاءَ مَن قَدْ نَعَقُوا ... بِهَا مِنَ الْأَحْيَاءِ أَوْ مَن سَبَقُوا
إِلَىٰ حَيَاةِ الْخُلْدِ وَالْجَزَاءِ ... يَا رَبِّ سَلِّمْنَا مِنَ الْبَلَاءِ
وَهَلْ يَكُونُ حَافِظُ الْمَسَائِلِ ... مِثْلَ فَتَىً فِي عِيِّهِ كَبَاقِلِ
لَا تُصْغِ يَا بُنَيَّ لِلْإِرْجَافِ ... وَلْتَتَّبِعْ مَنَاهِجَ الْأَسْلَافِ
فَمَنْ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ قَدْ سَلَكَا ... فَذَاكَ مِنْهُمْ فَاتَّخِذْهُ مَسْلَكَا
وَأَخْتِمُ الْفَصْلَ بِنَظْمِ اللُّؤْلُئِي ... فَهَاكَهُ مُنَضَّدًا كَاللُّؤْلُؤِ
[وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ ... وَالْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّفَهُّمِ
وَالْعِلْمُ قَدْ يُرْزَقُهُ الصَّغِيرُ ... فِي سِنِّهِ وَيُحْرَمُ الْكَبِيرُ
وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ ... لَيْسَ بِرِجْلَيْهِ وَلَا يَدَيْهِ
لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ الْمُرَكَّبُ ... فِي صَدْرِهِ وَذَاكَ خَلْقٌ عَجَبُ
وَالْعِلْمُ بِالْفَهْمِ وَبِالْمُذَاكَرَهْ ... وَالدَّرْسِ وَالْفِكْرَةِ وَالْمُنَاظَرَهْ
فَرُبَّ إِنْسَانٍ يَنَالُ الْحِفْظَا ... وَيُورِدُ النَّصَّ وَيَحْكِي اللَّفْظَا
وَمَالَهُ فِي غَيْرِهِ نَصِيبُ ... مِمَّا حَوَاهُ الْعَالِمُ الْأَدِيبُ

وَرُبَّ ذِي حِرْصٍ شَدِيدِ الْحُبّْ ... لِلْعِلْمِ وَالذِّكْرِ بَلِيدِ الْقَلْبِ

مُعَجَّزٍ فِي الْحِفْظِ وَالرِّوَايَهْ ... لَيْسَتْ لَهُ عَمَّنْ رَوَىٰ حِكَايَهْ

وَآخَرٍ يُعْطَىٰ بِلَا اجْتِهَادِ ... حِفْظًا لِمَا قَدْ جَاءَ فِي الْإِسْنَادِ

يُفِيدُهُ بِالْقَلْبِ لَا بِنَاظِرِهْ ... لَيْسَ بِمُضْطَرٍّ إِلَىٰ قَمَاطِرِهْ

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ شُرُوطِ تَحْصِيلِهِ

وَبَعْدَ ذِكْرِ الْأُسُسِ الْمَتِينَهْ ... لَابُدَّ مِن شُرُوطِهِ الْمُعِينَهْ

وَإِنَّنِي عَلَى الْأَهَمِّ أَقْتَصِرْ ... وَعَن قُصُورٍ فِي الْبَيَانِ اعْتَذِرْ

شُرُوطُهُ : قَدْرٌ مِنَ الذَّكَاءِ ... مَا أَبْعَدَ الْعِلْمَ عَنِ الْغَبَاءِ

فَمَنْ حَبَاهُ اللهُ فَهْمًا ثَاقِبَا ... كَانَ شِهَاباً فِي الْعُلُومِ ثَاقِبَا

وَالْبَذْلُ لِلْجَهْدِ ، مَعَ الْحِفَاظِ ... عَلَى الزَّمَانِ مَسْلَكُ الْحُفَّاظِ

فَالْوَقْتُ أَغْلَى مَا حَبَاكَ الْمَوْلَى ... حَذَارِ أَن تُضِيعَهُ وَأَوْلَى

وَ بِعُلُوِّ الْهِمَّةِ اتَّصِفْ ، وَلَا ... تُخْلِدْ إِلَى الرَّاحَةِ إِن رُمْتَ الْعُلَا

لَايَطْلُبُ الْعِلْمَ عَشِيرُ الْكَسَلِ ... كَلَّا وَلَا مُجَالِسٌ لِلْهَمَلِ

كَذَاكَ لَايَطْلُبُهُ ذُو الْمَلَلِ ... وَكُلُّ بَطَّالٍ ضَعِيفِ الْحِيَلِ

لَا بُدَّ لِلْعِلْمِ مِنَ الصَّبْرِ وَمِنْ ... إِتْعَابِكَ الْجِسْمَ فَكُن بِذَا قَمِنْ

وَارْحَلْ إِلَى عَوَاصِمِ الْأَمْصَارِ ... وَاعْمِدْ إِلَى أَشْيَاخِهَا الْكِبَارِ

لَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ عَنِ الصِّغَارِ ... فَإِنَّهُ مَظِنَّةُ الصَّغَارِ

وَلَا تَكُن مُسْتَعْجِلاً فِي الطَّلَبِ ... مَا فَازَ عَجْلَانُ بِنَيْلِ الْأَرَبِ

لَا بُدَّ مِن طُولِ الزَّمَانِ فَادْأَبِ ... وَاسْهَرْ عَلَى تَنقِيحِهِ وَنَقِّبِ

لَا يَجْتَنِي ذُو النَّخْلِ مِنْهُ الرُّطَبَا ... دُونَ انْتِظَارٍ نَالَ فِيهِ التَّعَبَا

{الْعِلْمُ بَحْرٌ مُنتَهَاهُ يَبْعُدُ ... لَيْسَ لَهُ حَدٌّ إِلَيْهِ يُقْصَدُ}

{وَلَيْسَ كُلُّ الْعِلْمِ قَدْ حَوَيْتَهُ ... أَجَلْ، وَلَا الْعُشْرَ وَلَوْ أَحْصَيْتَهُ}

{مَا أَكْثَرَ الْعِلْمَ وَمَا أَوْسَعَهُ ... مَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَجْمَعَهُ}

فَالْتَمِسِ الْأَنْفَعَ وَالْأَهَمَّا ... وَاصْرِفْ إِلَيْهِ يَابُنَيَّ الْهِمَّا

وَلْتَبْدَإِ التَّحْصِيلَ فِي مُقْتَبَلِ ... عُمْرِكَ وَاحْذَرَنْ لَذِيذَ الْأَمَلِ

وَإِنْ أَرَدتَ يَا بُنَيَّ الْأَخْذَ عَنْ ... أُولِي الرُّسُوخِ فَاقْصُدَنْ أَهْلَ السُّنَنْ

وَاجْتَنِبِ الْأَخْذَ عَنِ الْمُبْتَدِعِ ... فَرُبَّمَا تُبْلَى بِحُبِّ الْبِدَعِ

فَ{كُنْ عَلَى نَهْجِ سَبِيلِ السَّلَفِ ... فِي مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفِ

وَتَابِعِ الصَّالِحَ مِمَّنْ سَلَفَا ... وَجَانِبِ الْبِدْعَةَ مِمَّنْ خَلَفَا

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفْ ... وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ}

لِذَاكَ لَا بُدَّ مِنَ ٱمْرَيْنِ هُمَا ... حُسْنُ السُّؤَالِ عَنْ خِيَارِ الْعُلَمَا

ثَانِيهِمَا أَن تَسْتَخِيرَ اللهَ فِي الْـ ... ـأَخْذِ عَنِ الْأَمْثَلِ مِنْهُمْ فَامْتَثِلْ

وَإِنَّ مِنْ بَيْنِ رِجَالِ الْعِلْمِ ... مَنِ اسْتَفَاضَ فَضْلُهُ فِي الْقَوْمِ

وَكَمُلَتْ فِي عَصْرِهِ أَهْلِيَّتُهْ ... وَعُرِفَتْ أَخْلَاقُهُ وَعِفَّتُهْ

وَظَهَرَتْ بَيْنَ الْوَرَى مُرُوءَتُهْ ... وَاشْتَهَرَتْ لَدَيْهِمُ صِيَانَتُهْ

فَـذَا هُوَ الْـقُدْوَةُ فَالْزَمْ مَجْلِسَهْ ... وَحَقَّهُ احْذَرْ يَا فَـتَىٰ أَن تَـبْخَسَهْ

وَلَاتَـقَيَّدْ بِأُولِي الشُّهْـرَةِ فِي ... سَمَاعِكَ الْعِلْمَ فَـرُبَّ مُحْتَـفِ

بِالْعِلْمِ مِن ذَوِي الْخُـمُولِ أَنـفَعُ ... لِطَالِـبِيـهِ ، فِي الـزَّوَايَا يَـقْبَـعُ

لَايَمْنَعَنْكَ الْـكِـبْـرُ أَن تَأْخُذَ عَنْ ... أَصْغَرَ مِنكَ ، فَهْوَ غَبْنٌ فَاعْلَمَنْ

إِنْ كَـانَ مِنكَ بِالْفُـنُونِ أَعْلَمَا ... وَلِلْمَسَائِـلِ الْـعِظَامِ أَفْـهَمَا

فَقَدْ رَوَىٰ الْأَشْـيَاخُ عَن طُلَّابِـهِمْ ... كَمَا رَوَىٰ الـزُّهْرِيُّ عَن مَالِـكِهِمْ

وَالْأَخْـذُ عَن شَيْخِ مُشَارِكٍ أَتَـمْ ... نَـفْعًا لِطُلَّابِ الْـعُلُومِ وَأَعَـمْ

مَن لَمْ يَكُن لَهُ شُيُـوخٌ ، اجْتَنِبْ ... أَخْذَكَ عَنْهُ لَا تَكُن كَالْمُحْـتَطِبْ

إِذْ مِن بُطُـونِ الْـكُتْبِ قَدْ تَـفَقَّهَا ... كَمَـا يَـقُولُ الشَّافِـعِيُّ ذُو النُّهَىٰ

مَن وَلَـجَ الْـكُتُبَ وَحْدَهُ خَرَجْ ... مِنْهَا - وُقِيتَ - وَحْدَهُ كَمَا وَلَـجْ

لَا تَأْخُـذِ الْـقُرْآنَ عَمَّنْ أَخَـذَا ... عَن مُصْحَـفِيٍّ مِثْلِـهِ فَـإِنَّ ذَا

كَالْأَخْـذِ عَن كُلِّ جَهُولِ صَحَفِي ... مُصَحَّفٍ كَمَا تَـلَا فِي الصُّحُـفِ

فَلْـتَثْنِ رُكْـبَتَيْكَ فِي الْمَسَاجِدِ ... مُـثَافِـنًا لِـكُـلِّ شَيْخٍ مَاجِـدِ

وَاخْـتَرْ قَـرِيـنًا كَيْ يَشُدَّ أَزْرَكَا ... وَشُدَّ - إِن رُمْتَ الْـعُلَىٰ - مِئْزَرَكَا

وَاحْرِصْ عَلَى الْبُـكْرَةِ وَالتَّـبْكِيـرِ ... وَاهْجُرْ لَـذِيذَ الـنَّوْمِ فِي السَّرِيـرِ

ثُـمَّ أَهِنْ نَـفْسَكَ فِي اطِّـلَابِـهِ ... إِن كُنتَ يَا بُـنَيَّ مِن طُـلَّابِـهِ

فَإِنَّهُ إِن تُعْطِهِ كُلَّكَ لَا ... يُعْطِيكَ إِلَّا بَعْضَهُ، وَنُقِلَا

مَن لَمْ تَكُن مُخْرِقَةٌ بِدَايَتُهْ ... تَخَلَّفَتْ عَنِ الضِّيَا نِهَايَتُهْ

وَوَزِّعِ الْأَوْقَاتَ فِي النَّهَارِ ... وَاللَّيْلِ لِلْحِفْظِ وَالِاسْتِذْكَارِ

وَالْبَحْثِ وَالتَّنقِيبِ وَالْمُطَالَعَهْ ... وَالْجَمْعِ وَالتَّحْرِيرِ وَالْمُرَاجَعَهْ

وَدَبِّرِ الْمَالَ لِجَلْبِ الْكُتُبِ ... وَكُلِّ مَا تَحْتَاجُهُ فِي الطَّلَبِ

وَأَخِّرِ الزَّوَاجَ كَيْ تَنقَطِعَا ... لِأَخْذِكَ الْعِلْمَ ، وَعَادِ الشَّبَعَا

أَكْثِرْ مِنَ الصِّيَامِ كَيْ يَكُونَا ... لَكَ عَلَى تَحْصِيلِهِ مُعِينَا

وَقَدْ مَضَى فِي ثَالِثِ الْفُصُولِ مَا ... نَظَمَهُ حَمَّادُ فِي بَيْتٍ سَمَا

{ لَهُ تَغَرَّبْ ، وَتَوَاضَعْ ، وَاتْرُعْ ... وَجُعْ ، وَهُنْ ، وَاعْصِ هَوَاكَ ، وَاتَّبِعْ }

وَاقْنَعْ مِنَ الْقُوتِ بِمَا تَيَسَّرَا ... ثُمَّ مِنَ اللِّبَاسِ مَا قَدْ سَتَرَا

وَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَا يُنَافِي ... تَجَمُّلَ الْمَرْءِ لَدَى الْأَضْيَافِ

فَرَبُّنَا جَلَّ جَمِيلٌ وَيُحِبُّ ... لَنَا الْجَمَالَ ، وَالْمُبَاهَاةَ اجْتَنِبْ

وَلْتَتَحَرَّ الْحِلَّ فِي مَأْكَلِكَا ... ثُمَّ تَقَلَّلْ وَاحْتَرِسْ مِنْ بَطْنِكَا

فَفِطْنَةُ الْمَرْءِ يُغَطِّيهَا الشَّبَعْ ... وَرِقَّةُ الْقَلْبِ تُوَارِيهَا الْمُتَعْ

وَالْعِلْمُ لَا يُطْلَبُ بِالتَّنَعُّمِ ... وَرَاحَةِ الْجِسْمِ وَطِيبِ الْمَطْعَمِ

وَقَلِّلِ الْمَنَامَ وَالْكَلَامَا ... وَاجْتَنِبِ الْهَزْلَ كَذَا الْخِصَامَا

وَقَلِّلِ الْمِزَاحَ فَهْوَ إِنْ غَلَبْ ... أَدَّىٰ إِلَىٰ زَرْعِ الشِّقَاقِ وَالْعَتَبْ

وَاسْمُ بِنَفْسِكَ عَنِ التَّأَنُّقِ ... فِي مَلْبَسٍ ، كَذَا عَنِ التَّعَلُّقِ

بِمَا بِهِ يَسْتَمْتِعُ الْأَطْفَالُ ... وَالْفَارِغُونَ الْهَمَلُ الْجُهَّالُ

مِن تَافِهِ الشَّرَابِ وَالْمَآكِلِ ... فَذَاكَ يُزْرِي بِالْحَصِيفِ الْعَاقِلِ

مِثْلِ الْبَطَاطِسِ وَالِاسْتِدَامِ ... بِشَطَّةٍ تَخْنُقُ كَالزُّكَامِ

وَالِاسْكَرِيمِ وَكَذَا الْجَالِكْسِي ... لَاسِيَّمَا إِن قُرِنَا بِالْبِبْسِي

لَا تَشْرَبِ الْبِبْسِي وَلَا الْكَاكُولَا ... ثُمَّ اقْتَصِدْ وَلَا تَكُنْ أَكُولَا

لِكُلِّ مَا تَرْغَبُ مِن طَعَامِ ... فَإِنَّهُ مَجْلَبَةُ الْأَسْقَامِ

وَمَا مَضَىٰ مِنْ أَشْهَرِ الْمَشَارِبِ ... لِلْمَرَضِ الْعُضَالِ شَرُّ جَالِبِ

فَاغْتَذِ بِالَّذِي حَبَاكَ الْمُنْعِمُ ... مِمَّا بِهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ يُنْعِمُ

مِنْ نَافِعِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ ... مُؤْتَسِياً بِأَفْضَلِ الْأَنَامِ

فِي هَدْيِهِ ، صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا ... هَبَّ الصَّبَا وَطَائِرٌ تَرَنَّمَا

وَاحْرِصْ عَلَىٰ مَا زَادَ فِي الْحِفْظِ وَمَا ... بِهِ نُمُوُّ الْفَهْمِ مِمَّا عُلِمَا

تَأْثِيرُهُ وَنَفْعُهُ كَالْعَسَلِ ... وَكَالزَّبِيبِ بُكْرَةً ، وَلْتَسْأَلِ

مَوْلَاكَ أَن يَمْنَحَكَ التَّوْفِيقَا ... وَأَن يُسَهِّلَ لَكَ الطَّرِيقَا

إِلَىٰ اكْتِسَابِ الْعِلْمِ وَالْمَعَارِفِ ... شَتَّانَ بَيْنَ جَاهِلٍ وَ عَارِفِ

وَاحْفَظْهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَحْفَظْكَ مَا ... حَيِيتَ ، لَا تَعْدِلْ بِذَاكَ مَغْنَمَا

وَهْوَ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ... لِلْبَحْرِ عَبْدِاللهِ حَبْرِ الْأُمَمِ

وَقَدْ أَتَىٰ تَصْحِيحُهُ مُقْتَرِنَا ... بِالْحُسْنِ عِندَ التِّرْمِذِيِّ ذِي الْغِنَا

ثُمَّ اغْتَنِمْ مِن قَبْلِ خَمْسٍ خَمْسَا ... إِذْ صَحَّ عَمَّن قَدْ أَزَالَ اللَّبْسَا

صَلَّىٰ عَلَيْهِ رَبُّنَا مَا سَبَّحَا ... مُسَبِّحٌ وَأَشْرَقَتْ شَمْسُ الضُّحَىٰ

فَاغْتَنِمِ الشَّبَابَ قَبْلَ الْهَرَمِ ... وَاغْتَنِمِ الصِّحَّةَ قَبْلَ السَّقَمِ

كَذَا غِنَاكَ قَبْلَ أَن تَفْتَقِرَا ... ثُمَّ الْفَرَاغَ قَبْلَ شُغْلٍ يُزْدَرَىٰ

وَاغْتَنِمِ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ ... فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ غَيْرُ الْفَوْتِ

وَهْوَ عَنِ الْبَحْرِ أَتَىٰ ، وَصَحَّحَا ... حَاكِمُهُمْ إِسْنَادَهُ، وَصَرَّحَا

بِذَاكَ حَافِظُ الزَّمَانِ ابْنُ حَجَرْ ... وَكَمْ مِنَ الصَّخْرِ تَفَجَّرَ النَّهَرْ

وَبَعْدَ ذَاكَ يُسْأَلُ الْخَلَائِقُ ... عَنْ أَرْبَعٍ وَتُكْشَفُ الْحَقَائِقُ

يُسْأَلُ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ عُمُرِهْ ... فِيمَ قَضَاهُ وَهْوَ سِرُّ خَبَرِهْ

كَذَٰلِكُمْ عَنْ عِلْمِهِ سَيُسْأَلُ ... هَلْ كَانَ فِي دُنْيَاهُ حَقًّا يَعْمَلُ

ثُمَّ عَنِ الْمَالِ الَّذِي قَدْ كَسَبَهْ ... مِنْ أَيْنَ ذَٰلِكَ الضَّعِيفُ اكْتَسَبَهْ

وَفِيمَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ أَنفَقَهْ ... وَمَا الَّذِي فِي سَعْيِهِ قَدْ حَقَّقَهْ

وَفِيمَ أَبْلَىٰ جِسْمَهُ هَلْ كَانَ فِي ... دَرْبِ الْهُدَىٰ أَوِ الضَّيَاعِ الْمُؤْسِفِ

قَدْ صَحَّ عِندَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي ... بَرْزَةَ ذِي الذِّكْرِ الْحَمِيدِ الطَّيِّبِ

★ ★ ★

هَلْ بَعْدَ ذَا يَحْسُنُ أَن تُضَيِّعَا ... شَرْخَ الشَّبَابِ لَاهِيًا مُسْتَمْتِعَا

كَمَن رَضُوا بِالْهُونِ وَالْقُعُودِ ... فِي طُرُقَاتِ النَّاسِ كَالْقُرُودِ

وَكَمْ تَرَىٰ مَن لِلْبَانِ يَعْلُكُ ... دَوْمًا وَفِي كُلِّ طَرِيقٍ يَسْلُكُ

أَوْ يَقْرِضُ الْفِصْفِصَ قَرْضَ الْفَارِ ... وَهَمُّهُ تَتَبُّعُ السُّمَّارِ

تَرَاهُ دَوْمًا عَابِثًا بِالْمِسْبَحَهْ ... هَلْ ذَكَرَ اللهَ عَلَا أَوْ سَبَّحَهْ

وَكُلُّ شَاخِصٍ يَرَىٰ صُورَتَهُ ... بِهِ ، تَمَطَّىٰ مُصْلِحًا غُتْرَتَهُ

وَقَوَّمَ الْعِقَالَ وَالْمِرْزَامَا ... وَزَيَّنَ الْأَزْرَارَ وَالْأَكْمَامَا

كَمْ ضَيَّعَ الْفَارِغُ مِنْ أَوْقَاتِ ... عِندَ وُقُوفِهِ لَدَىٰ الْمِرْآةِ

بَلْ قَدْ أَضَاعَ مَا لَهُ اللهُ وَهَبْ ... مِن صِحَّةٍ وَمِن فَرَاغٍ وَنَشَبْ

وَذَاكَ وَاللهِ هُوَ الْمَغْبُونُ ... أَخْبَرَ عَنْهُ الصَّادِقُ الْمَأْمُونُ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا ازْدَانَ الثَّمَرْ ... وَمَا تَبَدَّىٰ فِي لَيَالِينَا الْقَمَرْ

مَنْ هَٰذِهِ صِفَاتُهُ لَايَصْلُحُ ... لِلْعِلْمِ لَوْ كَانَ ذَكِيًّا يُمْدَحُ

فَكَيْفَ مَن كَانَ بَلِيدًا جَانِحَا ... لِلَّهْوِ ، فِيهِ غَادِيًا وَرَائِحَا

الْبَابُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ وَالْمُعَلِّمِ، وَعَوَائِقِ الطَّلَبِ

وفِيهِ : خَمْسَةُ فُصُولٍ.

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ : فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ مَعَ شَيْخِهِ.

تَوْطِئَةٌ

وَبَعْدَ إِيرَادِ أَهَمِّ الْأُسُسِ ... فِي الْأَخْذِ عَنْ كُلِّ فَقِيهٍ كَيِّسِ

وَذِكْرِ جُمْلَةٍ مِنَ الشُّرُوطِ فِي ... تَحْصِيلِهِ، أَذْكُرُ مَا بِهِ يَفِي

مَنْهَجُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي التَّعْلِيمِ ... مُقْتَرِناً بِالْمَسْلَكِ الْقَوِيمِ

وَهْوَ الَّذِي سُمِّيَ بِالْآدَابِ ... بَيْنَ الْمُعَلِّمِينَ وَالطُّلَّابِ

وَتِلْكَ الْآدَابُ بِهَا تَأَدَّبَا ... أَسْلَافُنَا وَأَوْدَعُوهَا الْكُتُبَا

كَأَدَبِ الطَّالِبِ فِي التَّلَقِّي ... عَنْ شَيْخِهِ، وَمَا لَهُ مِنْ حَقِّ

عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدَبِ الطُّلَّابِ ... بَيْنَهُمُ، وَبَعْضُ ذِي الْآدَابِ

يَخْتَصُّ بِالشَّيْخِ وَبَعْضٌ يَشْمَلُ ... حَقَّ الْجَمِيعِ فَادْرِ مَا أُفَصِّلُ

مُبْتَدِئاً بِذِكْرِ مَا لِلشَّيْخِ مِنْ ... حَقَّ عَلَى طُلَّابِهِ بِهِ قَمِنْ

وَذَاكَ حَقٌّ وَاسِعُ الْأَبْوَابِ ... يَعْجِزُ عَنْهُ أَكْثَرُ الطُّلَّابِ

★ ★ ★

اِحْتَرِمِ الشَّيْخَ، وَبَجِّلْهُ، وَلَا ... تَنْسَ لَهُ فَضْلاً، وَأَعْلِنْ فِي الْمَلَا

تَوْقِيرَهُ وَمَا لَهُ مِنْ فَضْلِ ... فَذَاكَ مِنْ شِيمَةِ أَهْلِ النُّبْلِ

وَاصْبِرْ عَلَىٰ جَفْوَتِهِ ، وَلْتَدْعُ لَهُ ... مَن ذَا الَّذِي مِنَّا الْعَلِيمُ كَمَّلَهْ

إِلَّا الَّذِي بِوَحْيِهِ قَدْ أَكْرَمَهْ ... فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ عَصَمَهْ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللهُ مَا ... نَوْرٌ تَفَتَّحَ وَمَا وَدْقٌ هَمَىٰ

وَوَاجِبٌ أَن تَخْفِضَ الْجَنَاحَا ... لِلشَّيْخِ كَيْ تَدْرِعَ الْفَلَاحَا

وَقُلْ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ... لِخَلَفِ الْأَحْمَرِ قَوْلاً يُحْمَدُ

وَهُوَ « لَا أَقْعُدُ إِلَّا بَيْنَا ... يَدَيْكَ يَا شَيْخُ كَذَا أُمِرْنَا »

أَيْ بِالتَّوَاضُعِ لِمَنْ عَلَّمَنَا ... وَبِكَرِيمِ الْقَوْلِ قَدْ أَدَّبَنَا

وَشَاوِرَنْهُ فِي الْأُمُورِ ، وَلْتَرُمْ ... رِضَاهُ ، وَاسْتَرْشِدْهُ دَوْمًا ، وَلْتَقُمْ

بَيْنَ يَدَيْهِ سَائِلاً عَنْ حَاجَتِهْ ... مُسَارِعًا إِلَىٰ قَضَاءِ طِلْبَتِهْ

وَإِن يُشِرْ عَلَيْكَ أَن تَتَّبِعَا ... طَرِيقَةً فِي الْعِلْمِ كَيْ تَنْتَفِعَا

بِهَا فَلَبَّ وَاشْكُرَنْ صَنِيعَهُ ... فَالْكَيْسُ كُلُّ الْكَيْسِ أَنْ تُطِيعَهُ

وَانْقَدْ لَهُ انْقِيَادَ مُوسَىٰ لِلْخَضِرْ ... عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَا قَوْلٌ سُطِرْ

وَلْيَكُنِ الْخِطَابُ بِالتَّعْظِيمِ ... مُقْتَرِنًا دَوْمًا وَبِالتَّكْرِيمِ

فَلَا تُخَاطِبْهُ بِتَا الْخِطَابِ ... وَالْكَافِ وَاحْرِصَنْ عَلَىٰ الْآدَابِ

أَيْ لَا تَقُلْ : إِنَّكَ ، أَوْ أَنتَ ، وَلَا ... اِسْمَعْ ، وَقُلْ ، لَاسِيَّمَا بَيْنَ الْمَلَا

وَقُلْ لَهُ كَمَا حَكَىٰ الْخَطِيبُ ... يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ وَالْأَرِيبُ

أَوْ مَا تَقُولُونَ بِتِلْكَ الْمَسْأَلَهْ ... فَإِنَّ هَذَا أَدَبٌ مَا أَجْمَلَهْ

وَالرَّفْعَ لِلصَّوْتِ احْذَرَنْ بِحَضْرَتِهْ ... فَقَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِنَفْرَتِهْ

وَبَادِرَنْ بِالِاعْتِذَارِ إِنْ بَدَرْ ... مِنكَ قُصُورٌ نَحْوَهُ فَاحْرِصْ تَبَرّْ

وَذُبَّ عَنْهُ إِنْ سَمِعْتَ أَحَدَا ... يَغْتَابُهُ ، وَرُدَّ عَنْهُ الْفَنَدَا

وَدَارِهِ وَبَالِغَنْ فِي شُكْرِهِ ... وَلْتُفْشِ فِي النَّاسِ عَظِيمَ قَدْرِهِ

وَادْخُلْ عَلَيْهِ بَعْدَ الِاسْتِئْذَانِ ... مُرَاعِيًا لِحُرْمَةِ الْمَكَانِ

لَا تَدْخُلَنْ مُتَّسِخَ الثِّيَابِ ... أَوْ شَعِثًا كَهَيْئَةِ الْأَعْرَابِ

وَلْتَأْتِ فَارِغًا مِنَ الشَّوَاغِلِ ... مِنْ أَجْلِ فَهْمِ دُرَرِ الْمَسَائِلِ

وَدَعْ - بُنَيَّ - مَا يُنَافِي الْأَدَبَا ... فِي دَرْسِهِ كَوَسَنٍ وَالثُّؤَبَا

لَا تُضْجِرِ الشَّيْخَ وَكُنْ فِي الطَّلَبِ ... مِثْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفِيعَ الْأَدَبِ

عَلَيْهِ رِضْوَانُ الْمُهَيْمِنِ الْأَحَدْ ... مَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَمَا الْغَيْمُ انْعَقَدْ

وَاجْلِسْ أَمَامَهُ بِأَكْمَلِ الْأَدَبْ ... مُسْتَمِعًا فِي رَغَبٍ وَفِي رَهَبْ

لَا تُكْثِرِ التَّحْدِيقَ وَالتَّلَفُّتَا ... وَلَا تُرَاقِبْ خَارِجًا أَوْ مَنْ أَتَىٰ

وَاسْتَجْمِعِ الْعَقْلَ لِفَهْمِ الدَّرْسِ ... وَلَا تُفَكِّرْ فِي غَدٍ أَوْ أَمْسِ

إِنَّ شُرُودَ الْبَالِ لَا يَنْتَفِعُ ... بِعِلْمِ شَيْخِهِ وَلَا يَسْتَمْتِعُ

وَاحْذَرْ مِنَ الْعَبَثِ بِالثِّيَابِ ... وَمَا يُنَافِي مَسْلَكَ الْآدَابِ

كَعَبَثٍ بِلِحْيَةٍ وَالْأَنفِ ... وَالنَّفْضِ لِلْكُمِّ وَفَرْكِ الْكَفِّ

وَقَرْعِ سِنٍّ ثُمَّ مَدِّ الرِّجْلِ ... تُجَاهَهُ وَضَحِكٍ وَالتَّفْلِ

وَالِامْتِخَاطَ احْذَرْهُ وَالتَّنَحْنُحَا ... بِحَضْرَةِ الشَّيْخِ كَذَا أَن تُصْلِحَا

مَا مِنْهُ يَسْتَحْيِيْ أُولُو الْمَكَارِمِ ... مِن كُلِّ خَارِمٍ مِنَ الْخَوَارِمِ

وَاخْرُجْ مِنَ الدَّرْسِ إِذَا مَا احْتَجْتَا ... مِنْهَا لِشَيْءٍ ، فَإِنِ اسْتَأْذَنْتَا

لَا تَجْعَلِ الشَّيْخَ وَرَاءَ ظَهْرِكَا ... فَإِنَّ ذَا مُنتَقِصٌ مِن قَدْرِكَا

لَا تَجْعَلَنْ يَدَيْكَ خَلْفَكَ وَلَا ... إِزَاءَ جَنْبَيْكَ وَعِشْ مُمْتَثِلَا

لِهَدْيِ مَنْ أَنقَذَنَا بِشِرْعَتِهْ ... إِلَهُنَا وَبِاتِّبَاعِ سُنَّتِهْ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا تَنَفَّسَا ... صُبْحٌ وَ مَا اللَّيْلُ الْبَهِيمُ عَسْعَسَا

وَالِاتِّكَاءَ احْذَرْ وَالِاسْتِلْقَاءَا ... وَالِاسْتِنَادَ دَعْ وَالِاحْتِبَاءَا

كَذَلِكَ التَّشْبِيكُ بِالْأَصَابِعِ ... وَلَا تُقَاطِعْهُ وَلَا تُنَازِعِ

وَلْتَحْتَرِزْ مِن كُلِّ مَا قَدْ يُغْضِبُهْ ... وَاحْرِصْ عَلَىٰ كُلِّ جَمِيلٍ يُعْجِبُهْ

★ ★ ★

وَخَمِّرَنْ وَجْهَكَ إِن عَطَسْتَا ... مَعْ خَفْضِكَ الصَّوْتَ ، وَأَنْ كُنتَا

فَاحْرِصْ - فَدَيْتُكَ - عَلَىٰ ذَا الْأَدَبِ ... وَاكْظِمْ لَدَىٰ تَثَاؤُبٍ ، وَلْتَدْأَبِ

عَلَى التَّقَيُّدِ بِأَنْوَاعِ السُّنَنْ ... وَلْتَحْمَدِ اللهَ عَلَىٰ فَيْضِ الْمِنَنْ

وَسَلِّمَنْ عَلَى الْحُضُورِ كُلِّهِمْ ... إِذَا دَخَلْتَ وَاخْصُصَنْ مِنْ بَيْنِهِمْ

شَيْخَكَ بِالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّهْ ... لِمَا لَهُ مِن رُتْبَةٍ عَلِيَّهْ
وَلَا تُحَدِّثْ أَحَداً بِحَضْرَتِهْ ... فَإِنَّ هَذَا سَبَبٌ لِجَفْوَتِهْ
وَجَانِبِ السَّبْقَ إِلَىٰ الْجَوَابِ ... وَلَا تُجَادِلْهُ لَدَىٰ الْخِطَابِ
وَلَاتُرَدِّدْ مَا يَقُولُ ، وَاحْذَرِ ... إِظْهَارَ عِلْمِكَ بِهِ وَانْتَظِرِ
إِكْمَالَهُ الْحَدِيثَ دُونَ ضَجَرِ ... فَإِن تَضَجَّرْتَ لِذَا فَاسْتَغْفِرِ
وَلَاتُخَطِّئْهُ لَدَىٰ الطُّلَّابِ ... وَاكْتُبْ لَهُ الصَّوَابَ فِي خِطَابِ
مُضَمِّخاً بِعَاطِرِ الثَّنَاءِ ... تَكُنْ بِذَاكَ ظَاهِرَ الْوَفَاءِ
وَاسْمَعْ كَلَامَ اللُّؤْلُئِيِّ إِذْ نَظَمْ ... مِنَ الْعِظَاتِ مَا بِهِ بُرْءُ السَّقَمْ
[وَإِنْ بَدَتْ بَيْنَ أُنَاسٍ مَسْأَلَهْ ... مَعْرُوفَةٌ فِي الْعِلْمِ أَوْ مُفْتَعَلَهْ
فَلَا تَكُنْ إِلَى الْجَوَابِ سَابِقَا ... حَتَّىٰ تَرَىٰ غَيْرَكَ فِيهَا نَاطِقَا
فَكَمْ رَأَيْتُ مِنْ عَجُولٍ سَابِقِ ... مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ بِالْخِطَاءِ نَاطِقِ
أَزْرَىٰ بِهِ ذَلِكَ فِي الْمَجَالِسِ ... عِندَ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالتَّنَافُسِ
وَالصَّمْتُ فَاعْلَمْ بِكَ حَقًّا أَزْيَنُ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ عِندَكَ عِلْمٌ مُتْقَنُ
وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الْأَمْرُ ... مَا لِي بِمَا تَسْأَلُ عَنْهُ خُبْرُ
فَذَاكَ شَطْرُ الْعِلْمِ عِندَ الْعُلَمَا ... كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُولُ الْحُكَمَا
إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ بِفَضْلِ رَأْيِكَا ... وَاحْذَرْ جَوَابَ الْقَوْلِ مِنْ خِطَائِكَا

كَمْ مِن جَوَابٍ أَعْقَبَ النَّدَامَهْ ... فَاغْتَنِمِ الصَّمْتَ مَعَ السَّلَامَهْ }

وَهَذِهِ الْآدَابُ لَيْسَتْ تُلْتَمَسْ ... إِلَّا مِنَ الشَّيْخِ فَمِنْهُ يُقْتَبَسْ

اَلْهَدْيُ وَالسَّمْتُ وَالِاقْتِدَاءُ ... وَالْمَنْهَجُ الْمُسَدَّدُ الْبَنَّاءُ

فَأَدِّ مَا تَسْطِيعُ مِنْ حُقُوقِهِ ... وَلْتَحْتَرِسْ - بُنَيَّ - مِنْ عُقُوقِهِ

وَلْتَمْشِ خَلْفَهُ وَقَدِّمْ نَعْلَهُ ... إِلَيْهِ تَقْدِيرًا لَهُ ، وَاحْمِلْ لَهُ

حَاجَتَهُ إِلَّا إِذَا مَا امْتَنَعَا ... فَأَرْضِهِ مُرَدِّدًا لَهُ الدُّعَا

وَبَعْدَ مَوْتِهِ تَعَاهَدْ أَهْلَهُ ... بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، ثُمَّ كُنْ لَهُ

خَلِيفَةً فِي نَشْرِكَ الْعِلْمَ وَلَا ... تَبْغِ بِذَاكَ مَا حَيِيتَ بَدَلَا

وَكُلُّ مَنْ بِذَا السُّلُوكِ الْتَزَمَا ... يُسْلَكُ حَقًّا فِي عِدَادِ الْعُلَمَا

إِنْ بَيْنَ عِلْمِهِمْ وَهَدْيِهِمْ جَمَعْ ... وَهُوَ طَرِيقُ السَّالِفِينَ الْمُتَّبَعْ

مَنْ قَالَ عَنْهُمْ شَيْخُنَا عَدُّودُ ... لَا زَالَ مِن مَعِينِهِ يَجُودُ

بِدُرَرٍ مِن نَظْمِهِ الَّذِ يُبْدِعُهْ ... وَمِنْ خَزَائِنِ الْبَيَانِ يُطْلِعُهْ

[رَبِّ ابْنَ مَسْعُودٍ مُقِيمُ الْمِلَّهْ ... فَكَانَ يَحْكِي هَدْيَهُ وَدَلَّهْ

وَكَانَ عَلْقَمَةُ لِابْنِ أُمِّ ... عَبْدٍ كَهَذَا لِلنَّبِيِّ الْأُمِّي

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَحْكِي عَلْقَمَهْ ... وَاهًا لَهُ مِنْ نَسَبٍ مَا أَكْرَمَهْ

وَكَانَ مَنصُورٌ لِإِبْرَاهِيمَا ... كَذَاكَ يَحْكِي هَدْيَهُ الْقَوِيمَا

وَكَانَ سُفْيَانُ بِلَا قُصُورِ مُشَبِّهاً بِشَيْخِهِ مَنْصُورِ

وَهَكَذَا أَيْضاً وَكِيعٌ كَانَا مُشَبِّهاً بِشَيْخِهِ سُفْيَانَا

وَكَانَ أَحْمَدُ لَدَىٰ الْجَمِيعِ مُشَبِّهاً بِشَيْخِهِ وَكِيعِ

كَذَا أَبُو دَاوُدَ عِندَ الْكُمَّلِ مُشَبِّهاً بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلِ

حَشَرَنَا اللهُ مَعَ الْجَمِيعِ تَحْتَ لِوَاءِ أَحْمَدَ الشَّفِيعِ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَآلِهِ اللهُ عَلَا }

الْفَصْلُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ فِي نَفْسِهِ

وَأَهَمِّ الْآدَابِ الَّتِي يَتَعَامَلُ بِهَا الطُّلَّابُ بَيْنَهُمْ

وَفِيهِ مَطْلَبَانِ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ فِي نَفْسِهِ:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ ابْتِغَاءَ الْخَالِقِ ... دَعْ مَا يُنَافِيهِ مِنَ الْبَوَائِقِ

وَسَائِرِ الْآثَامِ وَالْمَعَاصِي ... فَالنُّورُ لَا يُؤْتَاهُ قَلْبُ الْعَاصِي

وَأَخْلِصِ النِّيَّةَ لِلرَّحْمَنِ ... فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَانِ

فَـ« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » ... كَمَا أَتَى فِي كُتُبِ الْأَثْبَاتِ

عَنِ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ الْمُخْتَارِ ... صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْبَارِي

وَطَهِّرَنْ قَلْبَكَ مِن دَاءِ الْحَسَدْ ... وَدَاوِهِ دَوْماً بِحُسْنِ الْمُعْتَقَدْ

فَبِصَلَاحِ الْقَلْبِ يَصْلُحُ الْجَسَدْ ... عَنْ خَاتَمِ الرُّسْلِ الْكِرَامِ قَدْ وَرَدْ

وَامْتَثَلَتْهُ سَائِرُ الْجَوَارِحِ ... وَتِلْكُمُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَنَائِحِ

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَبِالتَّوَاضُعِ ... وَالزُّهْدِ فِي بَهَارِجِ الْمَطَامِعِ

وَلْتَتَحَلَّ يَا بُنَيَّ بِالْوَرَعْ ... فَلَيْسَ مِثْلَهُ عِلَاجٌ لِلطَّمَعْ

وَاعْصِ الْهَوَى فَإِنَّهُ لِلطَّالِبِ ... مَزَلَّةٌ لِأَكْثَرِ الْمَثَالِبِ

وَلْيَكُ صَدْرُكَ سَلِيمًا وَاحْتَرِسْ ... مِنَ اللِّسَانِ فَهْوَ غَدَّارٌ دَنِسْ

إِلَّا إِذَا أَلْجَمْتَهُ بِالْوَرَعِ ... وَالْخَوْفِ مِن مَوْلَاكَ يَوْمَ الْفَزَعِ

تَاللهِ قَدْ أَوْرَدَنَا الْمَهَالِكَا ... حَتَّىٰ سَلَكْنَا سُبْلَهَا الْحَوَالِكَا

يَارَبِّ سَلِّمْنَا مِنَ الْجَوَارِحِ ... وَعَافِنَا مِن كُلِّ إِثْمٍ فَادِحِ

وَاجْتَنِبِ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَا ... إِلَّا لِدَحْضِ بَاطِلٍ قَدْ صَالَا

بِهِ مُعَانِدٌ ، فَبَيِّنِ الدَّخَلْ ... وَأَظْهِرِ الزَّيْفَ ، وَوَضِّحِ الْخَلَلْ

تَحَلَّ يَا بُنَيَّ بِالْإِنصَافِ ... فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَوْصَافِ

وَفِي الرُّجُوعِ يَا فَتَىٰ لِلْحَقِّ ... نَيْلُ رِضَا الْخَالِقِ ثُمَّ الْخَلْقِ

تَجَمَّلَنْ بِالْهَدْيِ وَالسَّمْتِ الْحَسَنْ ... مُحَافِظًا عَلَىٰ شَعَائِرِ السُّنَنْ

فِي مَطْعَمٍ ، وَمَشْرَبٍ ، وَمَلْبَسِ ... وَمَرْكَبٍ ، وَبِالنَّبِيِّ فَأْتَسِ

فِي كُلِّ مَا تَأْتِي وَكُلِّ مَا تَذَرْ ... صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا الْغَيْثُ انْهَمَرْ

تَكُن بِذَا فِي عَارِفِيكَ مُقْتَدَىٰ ... بِهِ ، وَدَاعِيًا إِلَىٰ نَهْجِ الْهُدَىٰ

الْمَطْلَبُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ الْآدَابِ الَّتِي يَتَعَامَلُ بِهَا الطُّلَّابُ بَيْنَهُمْ

سَلْ - بُنَيَّ - إِن دَخَلْتَ ، وَارْفَعَا ... صَوْتَكَ بِالسَّلَامِ حَتَّىٰ يُسْمَعَا

وَالشَّيْخَ فَالْتَخْصُصْهُ بِالتَّوْقِيرِ ... كَمَا مَضَىٰ؛ لِحَقِّهِ الْكَبِيرِ

كَ«كَيْفَ حَالُ شَيْخِنَا» وَ« أَمْتَعَا ... بِكُمْ إِلَهِي الطَّالِبِينَ » مُسْمِعَا

هَذَا الْكَلَامَ الْحَاضِرِينَ وَلْتَذَرْ ... ذَلِكَ فِي الدَّرْسِ فَفِعْلُهُ هَذَرْ

وَلْتَجْتَنِبْ تَخَطِّيَ الرِّقَابِ ... إِلَّا لِمُقْنِعٍ مِنَ الْأَسْبَابِ

كَأَن تَكُونَ نَابِغًا فِي الطَّلَبِ ... وَقَالَ شَيْخُكَ اقْتَرِبْ فَاقْتَرِبِ

وَاحْذَرْ - بُنَيَّ - أَن تُقِيمَ مَن سَبَقْ ... لِمَجْلِسٍ؛ فَإِنَّهُ بِهِ أَحَقْ

فَالنَّهْيُ عَنْ هَذَا رَوَاهُ ابْنُ عُمَرْ ... وَفِي الصَّحِيحَيْنِ تَلَقَّتْهُ الزُّمَرْ

وَكَوْنُهُ بِهِ أَحَقَّ مُسْنَدُ ... فِي مُسْلِمٍ إِلَىٰ ابْنِ صَخْرٍ يَصْعَدُ

لَا تَقْبَلَنْ إِيثَارَهُ إِنْ آثَرَكْ ... إِلَّا إِذَا الشَّيْخُ بِذَا قَدْ أَمَرَكْ

إِمَّا لِفَضْلٍ فِيكَ أَوْ لِسِنِّكَا ... أَوْ لِانْتِفَاعٍ - يَافَتَىٰ - بِعِلْمِكَا

وَاجْتَنِبِ التَّفْرِيقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ ... لِنَهْيِ مَن قَدْ خُصَّ بِالْوَحْيَيْنِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا بَرْقٌ لَمَعْ ... فِي جِنْدِسِ اللَّيْلِ وَمَا نُورٌ سَطَعْ

فَإِنْ هُمَا قَدْ أَذِنَا فَلَا حَرَجْ ... فَصَاحِبُ الْحَقِّ قَرِينٌ لِلْفَلَجْ

وَكُن مُعِينًا لِزَمِيلِ الطَّلَبِ ... إِن كَانَ ذَا حِرْصٍ ، وَمِنْهُ اقْتَرِبِ

★ ★ ★

وَإِن تَكُن مَعْ رُفَقَاءَ فِي الطَّلَبْ ... فَاجْتَمِعُوا فِي جِهَةٍ فَهْوَ أَحَبْ

إِلَىٰ فُؤَادِ الشَّيْخِ حَيْثُ يَرْمُقُ ... إِلَيْكُمُ ، وَبَيْنَكُمْ لَا يَفْرُقُ

وَلَا يَخُصَّ أَحَدًا دُونَ أَحَدْ ... فَلْتَظْفَرُوا بِذَا الْجِوَارِ وَالرَّشَدْ

فَغَيْرُكُمْ فِي التِّيهِ يَمْرَحُونَا ... وَفِي بِحَارِ الْجَهْلِ يَسْبَحُونَا

وَإِنَّ مِنْ حَقِّ رِفَاقِ الطَّلَبِ ... تَوْقِيرَهُمْ وَنُصْحَهُمْ فِي أَدَبِ

مُرَاعِيًا مَكَانَةَ الْأَقْرَانِ ... وَرُفَقَاءِ الدَّرْبِ وَالزَّمَانِ

وَوَسَطَ الْحَلْقَةِ لَا تَجْلِسْ ، وَلَا ... تَقْعُدْ أَمَامَ جَالِسٍ بِهَا بِلَا

ضَرُورَةٍ تَنْجُمُ كَالزِّحَامِ ، أَوْ ... ضِيقِ مَكَانٍ ، أَوْ لِزُوَّارٍ أَتَوْا

وَإِن رَأَيْتَ طَالِبًا مُغْتَرِبَا ... فَابْتَدِرَنْهُ قَائِلاً يَا مَرْحَبَا

بِمَنْ أَتَىٰ يَطْلُبُهُ مُبْتَغِيَا ... وَجْهَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا قَدْ خَفِيَا

وَإِن يَكُونُوا عَدَدًا فَوَسِّعُوا ... بِمَجْلِسِ الدَّرْسِ لَهُمْ ، وَجَمِّعُوا

أَعْضَاءَكُمْ كَمِثْلِ ضَمِّ الرُّكَبِ ... وَقَدَمٍ لِأُخْتِهَا ، وَاقْتَرِبِ

مِن جَارِكَ الْأَدْنَىٰ إِلَى الْيَمِينِ ... أَوِ الشِّمَالِ فُزْتَ بِالْيَقِينِ

وَكُن وَقُورًا وَاحْتَرِزْ مِن كُلِّ مَا ... يُؤْذِي الْجَلِيسَ كَيْ تُرَىٰ مُحْتَرَمَا

وَلَا تَكُن مِثْلَ الْبَعِيرِ الْأَجْرَبِ ... أَوْ ضُحْكَةً تُنْمَىٰ لِجِيلٍ أَشْعَبِ

لَا تَشْغَلِ الشَّيْخَ بِمَا لَا يَحْسُنُ ... فِي الدَّرْسِ ؛ فَهْوَ عَمَلٌ مُسْتَهْجَنُ

كَمَنْ يُنَادِي أَحَدًا فِي الدَّرْسِ ... أَوْ يَشْغَلُ الشَّيْخَ بِدَرْسِ الْأَمْسِ

وَكُلُّ مُولَعٍ بِحُبِّ الثَّرْثَرَهْ ... فَهْوَ حَرِيٌّ يَا فَتَىٰ أَن تَحْقِرَهْ

وَالدَّرْسُ لَا يُقْطَعُ بِالسَّفْسَافِ ... فَكُنْ بِهِ مُوَطَّأَ الْأَكْنَافِ

{فَالْتَمِسِ الْعِلْمَ وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبْ ... وَالْعِلْمُ لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِالْأَدَبْ

وَالْأَدَبُ النَّافِعُ حُسْنُ السَّمْتِ ... وَفِي كَثِيرِ الْقَوْلِ بَعْضُ الْمَقْتِ}

نَظَمَ هَذَا اللُّؤْلُئِيُّ فَادْعُوَنْ ... لَهُ ، وَلِلْأَعْلَامِ فِي كُلِّ زَمَنْ

وَلَا تَقُمْ بِأَيِّ أَمْرٍ دُونَ أَنْ ... تَسْتَأْذِنَ الشَّيْخَ فَكُنْ بِذَا قَمَنْ

وَإِن تَعَدَّىٰ فِي الْخِصَامِ طَالِبُ ... عَلَىٰ أَخِيهِ - يَا فَتَىٰ - فَالْوَاجِبُ

إِسْنَادُ زَجْرِهِ إِلَى الشَّيْخِ فَمَا ... يَرَاهُ كَانَ لِلْجَمِيعِ مُلْزِمَا

وَإِنْ إِلَى الشَّيْخِ أَسَاءَ الْأَدَبَا ... فَرْدٌ فَزَجْرُهُ يَقِينًا وَجَبَا

فَنُصْرَةُ الشَّيْخِ بِلَا ارْتِيَابِ ... وَاجِبَةٌ حَتْمًا عَلَى الطُّلَّابِ

وَإِن قَصَدْتَ مَجْلِسَ الشَّيْخِ فَلَا ... تَقَدَّمَنْ عَلَى سِوَاكَ ، وَابْذُلَا

حَقَّكَ فِي النَّوْبَةِ لِلْغَرِيبِ ... إِذْ جَاءَ مَنقُولاً عَنِ الْخَطِيبِ

وَفِيهِ قَوْلُ الْمُصْطَفَىٰ لِلثَّقَفِي ... مُؤَدَّبًا ، وَهْوَ بِنَا خَيْرُ حَفِي

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا جَنَّ الدُّجَىٰ ... وَمَا اسْتَفَاقَ مِن ضَلَالٍ ذُو حِجَا

كَذَاكَ ذُو الْحَاجَةِ أَوْ مَن قَدَّمَهْ ... شَيْخُكَ ؛ فَالْوَاجِبُ أَن تُقَدِّمَهْ

إِن لَمْ يَكُن مِن ذَلِكُمْ شَيْءٌ فَلَا ... تُؤْثِرْ سِوَاكَ يَا فَتَىٰ إِذْ نُقِلَا

كَرَاهَةُ الْإِيثَارِ فِي كُلِّ عَمَلْ ... يَرْجُو بِهِ الْمَرْءُ ثَوَابَ اللهِ جَلْ

وَإِنْ أَتَتْ نَوْبَةُ شَخْصٍ يَحْسُنُ ... شُرُوعُهُ فِي الْعَرْضِ حِينَ يَأْذَنُ

لَهُ بِذَاكَ الشَّيْخُ وَلْيَبْدَأْ بِمَا ... يُشْرَعُ فِي الْخِطَابِ عِندَ الْعُلَمَا

مِنْ حَمْدِ رَبِّنَا عَلَىٰ الْإِنْعَامِ ... وَالْعَطْفِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

عَلَى الرَّسُولِ الْمُجْتَبَىٰ ، وَإِن دَعَا ... فَحَسَنٌ ، أَجْمِلْ بِذَلِكَ الدُّعَا

وَلْيُحْضِرِ الطَّالِبُ سِفْرَهُ مَعَهْ ... وَلَا يَلِيقُ أَبَدًا أَن يَضَعَهْ

فَوْقَ الْبِسَاطِ وَهْوَ مفْتُوحٌ ، وَلَا ... يَقْلِبُهُ فَذَا سُلُوكٌ حُظِلَا

وَاسْتَأْذِنِ الشَّيْخَ وَبَعْدَ الْإِذْنِ ... اِقْرَأْ بِصَوْتٍ بَيِّنٍ وَاسْتَأْنِ

مِنْ أَجْلِ أَن يُفْهَمَ عَنكَ ، وَاجْتَنِبْ ... هَذَا إِذَا الشَّيْخُ لِمَحْظُورٍ غَضِبْ

أَوْ مَلَلٌ أَصَابَهُ أَوْ غَمْ ... أَوِ اعْتَرَاهُ تَعَبٌ أَوْ هَمْ

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ فِي نَفْسِهِ، وَمَعَ طُلَّابِهِ، وَفِي دَرْسِهِ

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ مَطَالِبَ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ فِي نَفْسِهِ، وَبَعْضُهَا يَشْتَرِكُ مَعَهُ الطُّلَّابُ فِيهَا.

لَا رَيْبَ أَنَّ الشَّيْخَ قُدْوَةٌ لِمَنْ ... يَأْخُذُ عَنْهُ فَلْيَكُنْ حِلْسَ السُّنَنْ
وَلْيَتَّقِ اللهَ عَلَى الدَّوَامِ ... مُسْتَحْضِرًا رَقَابَةَ الْعَلَّامِ
فَإِنَّهُ عَلَى الْعُلُومِ مُؤْتَمَنْ ... وَبِالَّذِي اسْتَرْعَاهُ رَبُّهُ قَمَنْ
إِنْ يَتَّصِفْ بِالزُّهْدِ وَالْخُضُوعِ ... لِلَّهِ وَالْوَقَارِ وَالْخُشُوعِ
وَبِالسَّكِينَةِ مَعَ التَّوَاضُعِ ... وَالْحِلْمِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَطَامِعِ
وَلْيَمْتَثِلْ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ ... مَالِكٌ د الْمُبَجَّلُ الْهُمَامُ
فِي نُصْحِهِ الْأَسْمَى إِلَى الرَّشِيدِ ... هَارُونَ ذِي التَّصَرُّفِ السَّدِيدِ
قَالَ لَهُ: إِذَا عَلِمْتَ فَلْتَكُنْ ... مُتَّصِفاً بِالْحِلْمِ وَالسَّمْتِ الْحَسَنْ
وَلْيُرَ - يَا هَذَا - عَظِيمُ الْأَثَرِ ... عَلَيْكَ وَالْبُعْدُ عَنِ التَّكَبُّرِ
لِقَوْلِ خَيْرِ الْخَلْقِ: إِنَّ الْعُلَمَا ... وُرَّاثُ الْأَنْبِيَاءِ حَقًّا فَاعْلَمَا
وَقَدْ مَضَى فِي أَوَّلِ الْبَابَيْنِ فِي ... فَضْلِ أُولِي الْعِلْمِ بِتَخْرِيجِ يَفِي
بِالْقَصْدِ، وَهُوَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ... عُوَيْمِرٍ ذِي الزُّهْدِ وَالْإِبَاءِ
وَالِاخْتِلَافُ فِي قَبُولِهِ نُقِلْ ... وَلَيْسَ عَنْ مَرْتَبَةِ الْحُسْنِ يَقِلْ

وَلْـيَعْلَمِ الْـعَالِـمُ أَنَّ الْـعِلْمَ مَا ... حُصِّلَ نَـفْعُـهُ فَـكُـن مُعَظِّمَا

لَـهُ ، وَلَا تُـهِنْـهُ بِـالـذَّهَـابِ ... إِلَىٰ عَبِـيدِ الْـمَـالِ وَالْأَلْـقَابِ

لَا يُحْمَلُ الْـعِلْمُ إِلَىٰ بَيْتِ أَحَـدْ ... فَالْـعِلْمُ يُـؤْتَىٰ فَأْتِهِ يَا ذَا الرَّشَدْ

وَإِن يَكُ الذَّهَابُ مِن شَيْخٍ إِلَىٰ ... آخَـرَ فَـهْوَ سَائِغٌ ، إِذْ نُـقِلَا

عَن ابْـنِ سَلَّامٍ بِأَنَّهُ رَحَـلْ ... مِنْ أَجْـلِ إِسْمَاعِ عَلِيٍّ إِذْ نَـقَلْ

عَنْهُ الْغَرِيـبَ ، وَعَلِيٌّ إِنْ ذُكِـرْ ... فَـهْوَ الْـمَدِيـنِيُّ الْإِمَامُ الْمُشْتَهِرْ

كَذَٰلِكَ الثَّـوْرِيُّ كَـانَ يَذْهَبُ ... إِلَىٰ ابْنِ أَدْهَـمَ ، وَهَـٰذَا أَعْجَبُ

يَـقْصِدُهُ الـثَّوْرِيُّ ، وَهْـوَ أَعْلَـمُ ... مِنْهُ وَبَـحْرٌ حَـافِظٌ مُـقَدَّمُ

وَلْـيَكُنِ الْـعَالِـمُ جِـدَّ مُـتَّقِ ... شُرُورَ ذِي الدُّنْـيَا ، شَدِيدَ الْـفَرَقِ

مِن مُغْرِيَـاتِـهَا وَمِنْ حَـبَائِـلِ ... فِـتْنَتِـهَا وَسِحْرِهَا الْـمُخَاتِـلِ

وَالْأَصْلُ فِي مَـتَاعِهَا الـتَّقَـلُّلُ ... فَـإِنَّـهُ فَـانٍ فَـلَا يُـعَـوَّلُ

عَلَـيْهِ ، وَلْـيَرْضَ بِـمَا يَكْـفِيهِ ... مِن دُونِ تَـقْتِيـرٍ عَلَىٰ ذَوِيـهِ

لَاسِيَّمَا فِي هَـٰذِهِ الْأَزْمَـانِ ... بِهَا الْـفَقِيرُ الـدَّائِـمُ الْحِرْمَانِ

يَـرَىٰ بَـنُوهُ مِنْ مَظَاهِرِ التَّـرَفْ ... عِندَ سِوَاهُـمْ مَا يُـوَلِّـدُ الْأَسَفْ

وَالْـعَالِمُ الصَّادِقُ مَن لَمْ يَجْـعَلِ ... الْـعِلْمَ ضَرْبًا مِن ضُرُوبِ الْحِيَلِ

فَالْعِلْمُ لَا يُـجْعَلُ سُلَّـمًا إِلَىٰ ... مَالٍ وَجَـاهٍ أَوْ تَـقَـدُّمٍ عَلَىٰ

مُنَافِسٍ وَلَا يَلِيقُ أَن يُرَىٰ ... حَامِلُهُ يَهْوَىٰ الْجِدَالَ وَالْمِرَا

مَا أَجْدَرَ الْعَالِمَ بِالتَّجَرُّدِ ... فَإِنَّهُ عُنْوَانُ كُلِّ سُؤْدُدِ

كَمِثْلِ حَالِ **الشَّافِعِيِّ** ذِي الْعُلَا ... قَالَ : وَدِدتُ أَنَّ هَـٰذَا الْعِلْمَ لَا

يُعْزَىٰ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ أَبَدَا ... وَيَنفَعَ اللَّهُ بِهِ مَنْ أَسْعَدَا

مِنْ خَلْقِهِ، كَذَٰلِكُمْ بِالْعَمَلِ ... بِهِ، فَيَا لَلْعُلَمَاءِ الْكُمَّلِ

لَمْ يَلْهُ فِي النَّهَارِ بِالطَّعَامِ ... وَلَيْسَ فِي اللَّيْلِ مِنَ النُّوَّامِ

أَمْضَاهُمَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَهْ ... تِلْكَ حَيَاةُ الْقُدْوَاتِ السَّادَهْ

★ ★ ★

ثُمَّ عَلَى الْعَالِمِ أَن يُقِيمَا ... شَعَائِرَ الدِّينِ ، وَأَن يُدِيمَا

تَعْظِيمَهَا مَدَى الْحَيَاةِ آمِرَا ... وَنَاهِيًا ، مُحْتَسِبًا مُثَابِرَا

يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَلَا يُجَامِلُ ... وَعَنْ أَدَاءِ النُّصْحِ لَا يَثَّاقَلُ

وَلْيَدَّرِعْ بِالصَّبْرِ مَا عَاشَ ، وَهَلْ ... يَنفَعُ غَيْرُ الصَّبْرِ إِن شَرٌّ أَطَلَّ

فَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ قَدْ صَبَرُوا ... وَذَاكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ يُذْكَرُ

وَمِن صِفَاتِ الْعَالِمِ الْمُسَدَّدِ ... إِظْهَارُ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَمْجَدِ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللَّهُ مَا ... غَرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلَىٰ أَيْكِ الْحِمَىٰ

كَذَاكَ مِن صِفَاتِهِ قَمْعُ الْبِدَعْ ... كَيْ يُعْبَدَ اللَّهُ بِمَا لَنَا شَرَعْ

وَالْعَالِمُ الْعَامِلُ ، بِالْعَزَائِمِ ... يَأْخُذُ نَفْسَهُ، وَبِالْمَكَارِمِ

يُلْزِمُهَا ، مُجْتَهِدًا فِي الْعَمَلِ ... بِعِلْمِهِ طِبْقَ السُّلُوكِ الْأَمْثَلِ

اَلْمُسْتَفَادِ مِن كِتَابِ اللهِ ... وَسِيرَةِ الْمُؤْتَمَنِ الْأَوَّاهِ

مُزَكِّيًا لِلنَّفْسِ بِالطَّاعَاتِ ... مَعَ اجْتِنَابِ سَائِرِ الْآفَاتِ

مُوَقِّرًا خَيْرَ الْوَرَىٰ وَصَحْبَهُ ... مُطَهِّرًا مِنَ الدَّنَايَا قَلْبَهُ

مُنَقِّيًا ظَاهِرَهُ مِن كُلِّ مَا ... يُزْرِي بِهِ ، يَخْشَىٰ الرَّدَىٰ وَالْمَأْثَمَا

يُعَامِلُ النَّاسَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ... مِثْلِ الْبَشَاشَةِ وَلِينِ الْمَنطِقِ

يَبْذُلُ جَاهَهُ مَعَ الإِنْصَافِ ... مُتَّصِفاً بِأَجْمَلِ الْأَوْصَافِ

يُفْشِي السَّلَامَ ، يُطْعِمُ الطَّعَامَا ... وَيَصِلُ الْأَرْحَامَ وَالْيَتَامَىٰ

يُعَامِلُ الْفَقِيرَ بِالتَّلَطُّفِ ... مُجَانِبًا مَسْلَكَ أَهْلِ التَّرَفِ

فِي كَسْرِهِمْ قُلُوبَ أَهْلِ الْفَقْرِ ... إِمَّا بِالِاحْتِقَارِ أَوْ بِالْكِبْرِ

يَصِلُهُمْ مَا اسْطَاعَ بِالْإِنفَاقِ ... عَلَيْهِمْ يَرْجُو رِضَا الْخَلَّاقِ

وَكُلُّ قُرْبَةٍ إِلَىٰ الرَّحْمَٰنِ ... يَسْعَىٰ لِفِعْلِهَا بِكُلِّ آنِ

وَالْعُلَمَاءُ حُجَّةُ الْمَوْلَىٰ عَلَى الْـ ... ـعِبَادِ إِنْ هُمْ أَخْلَصُوا لَهُ الْعَمَلْ

وَقُدْوَةٌ لِسَائِرِ الْأَنَامِ ... إِلَيْهِمُ الْمَرْجِعُ فِي الْأَحْكَامِ

فَلْيَحْذَرِ الْعَالِمُ مِن زَلَّاتِهِ ... وَلْيَحْفَظِ اللِّسَانَ مِنْ آفَاتِهِ

بِزَلَّةِ الْعَالِمِ تَشْقَىٰ أُمَمُ ... وَيَسْتَطِيرُ شَرُّهَا وَيَعْظُمُ

فَالْعِلْمُ كُلُّ الْعِلْمِ مَا بِهِ انْتَفَعْ ... أَرْبَابُهُ وَجَنَّبَ النَّاسَ الْبِدَعْ

فَلَا يَلِيقُ بِذَوِي الْعِلْمِ الْبَطَرْ ... وَالِاتِّصَافُ بِالرِّيَاءِ وَالْوَحَرْ

وَالِاشْتِغَالُ بِعُيُوبِ الْخَلْقِ ... وَكُلِّ مَا يَخْدِشُ وَجْهَ الْحَقِّ

وَلْيَحْذَرِ الْعَالِمُ مِن دَاءِ الْهَوَىٰ ... فَمَا أَصَابَ عَالِمًا إِلَّا هَوَىٰ

وَلْيَنْأَ بِالنَّفْسِ عَنِ التَّعَصُّبِ ... لِعَالِمٍ مُعْتَبَرٍ أَوْ مَذْهَبِ

وَلْيُعْنَ مَا أَمْكَنَ بِالرَّقَائِقِ ... فَهْيَ عِلَاجُ الْقَلْبِ بِالْحَقَائِقِ

مِنْ آيَةٍ تُتْلَىٰ وَنَصٍّ صَادِقِ ... وَقِصَّةٍ تُدْمِعُ عَيْنَ الصَّادِقِ

وَلْيَتْلُ آيَ اللَّهِ فِي الْأَسْحَارِ ... مَعْ حِرْصِهِ دَوْمًا عَلَىٰ الْأَذْكَارِ

بِـ« عَمَلِ الْيَوْمِ مَعَ اللَّيْلَةِ »قَدْ ... سُمِّيَ عِندَ السَّالِفِينَ ، وَاعْتَمَدْ

ذَٰلِكَ الِاسْمَ بَعْضُهُمْ كَذِي نَسَا ... وَبَعْدَهُ تِلْمِيذُهُ بِهِ ائْتَسَىٰ

وَلْيَعْمُرِ الْأَوْقَاتَ بِالتَّصْنِيفِ فِي ... بَابٍ مُفِيدٍ دُونَمَا تَكَلُّفِ

وَلْيَكُ فِي تَصْنِيفِهِ مُحَقِّقَا ... وَلِلنُّقُولِ جَامِعًا مُوَثِّقَا

مُمَحِّصًا ، مُبَيِّنًا ، مُدَقِّقَا ... مُعْتَرِفًا بِسَبْقِ مَن قَدْ سَبَقَا

مُعْتَنِيًا بِمَا يَعُمُّ النَّفْعُ بِهْ ... وَإِنْ عَرَتْهُ آفَةٌ فَلْيَنْتَبِهْ

فَرُبَّمَا أُصِيبَ بِالْغُرُورِ ... فَاقْتَادَهُ لِمَوْرِدِ الشُّرُورِ

وَلْيَقْفُ سُنَّةَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ ... وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْوَفَا

وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ وَمَن تَبِعْ طَرِيقَهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ قَدْ شُرِعْ
كَابْنِ الْمُسَيَّبِ وَمَن قَدْ سَبَقَا وَمَن بِهِمْ فِي كُلِّ جِيلٍ لَحِقَا
كَابْنِ الْمُبَارَكِ وَسُفْيَانَيْهِمُ مَعَ الْبُخَارِيِّ وَحَمَّادَيْهِمُ
ثُمَّ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ الشَّيْبَانِي ٧٧٠
وَقَدْ مَضَىٰ ذِكْرُ الْإِمَامِ الشَّافِعِي ذِي الْعِلْمِ وَالشِّعْرِ الرَّقِيقِ الْمَاتِعِ
يَارَبِّ فَاجْمَعْنَا بِهِمْ فِي جَنَّتِكْ وَنَجِّنَا مِنَ الرَّدَىٰ بِمِنَّتِكَ

الْمَطْلَبُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ فِي دَرْسِهِ

وَقَبْلَ عَقْدِ الدَّرْسِ تَصْحِيحُ النِّيَهْ ... فَكَمْ لَهَا مِنْ أَثَرٍ فِي التَّزْكِيَهْ

وَلْيَتَطَهَّرْ قَبْلَ بَدْءِ الدَّرْسِ ... مَعَ التَّطَيُّبِ وَحُسْنِ اللُّبْسِ

يَفْعَلُ هَذَا مَالِكٌ مُوَقِّرَا ... حَدِيثَ خَيْرِ مُرْسَلٍ إِلَى الْوَرَىٰ

وَلْيَجْلِسِ الشَّيْخُ مَعَ الْوَقَارِ ... مُقْتَدِياً بِالْمُصْطَفَىٰ الْمُخْتَارِ

مُفْتَتِحاً بِحَمْدِ ذِي الْجَلَالِ ... مُقَدِّرِ الْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ

مُصَلِّيًا عَلَىٰ مَنِ اصْطَفَاهُ ... عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَاجْتَبَاهُ

وَلْيَتَرَضَّ عَنْ جَمِيعِ الْآلِ ... وَصَحْبِهِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

وَكُلُّ شَيْخٍ عَالِمٍ ذِي مَنْزِلَهْ ... يَحْسُنُ عِندَ ذِكْرِهِ الدُّعَاءُ لَهْ

بِالْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ ... فَإِنَّ ذَلِكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ

وَلْيَكُ مَوْضِعُ الْجُلُوسِ بَارِزَا ... حَتَّىٰ يَكُونَ لِلْجَمِيعِ حَافِزَا

عَلَىٰ حُضُورِ الْقَلْبِ وَالتَّيَقُّظِ ... وَرَصْدِ كُلِّ نَاشِئٍ أَوْ يَقِظِ

فَرُبَّمَا أَدَّىٰ اسْتِتَارُ الطَّالِبِ ... عَنْ نَظَرِ الشَّيْخِ إِلَى التَّخَاطُبِ

مَعْ غَيْرِهِ أَوْ نَوْمِهِ أَوْ غَفْلَتِهْ ... وَذَا حُضُورُهُ كَمِثْلِ غَيْبَتِهْ

وَلْيَبْتَسِمْ فَإِنَّ الِابْتِسَامَا ... مِنْ هَدْيِ مَنْ قَدْ عَلَّمَ الْأَنَامَا

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ ذُو الْجَلَالِ ... مَا هَبَّتِ الْأَنْسَامُ فِي الْآصَالِ

وَكَثْرَةُ الْمِزَاحِ مِمَّا يُرْغَبُ ... بِالشَّيْخِ عَنْهُ ، وَالْقَلِيلُ يُطْلَبُ

مِنْهُ ، فَإِن زَادَ عَنِ الْحَدِّ ذَهَبْ ... بِهَيْبَةِ الشَّيْخِ فَبِئْسَ الْمُنْقَلَبْ

وَلَا يَكُن مُقَطِّبًا عَبُوسَا ... فَمَن رَآهُ ظَنَّهُ مَنْحُوسَا ٧٩٠

وَإِن يَكُ الشَّيْخُ بِحَالَةِ الْغَضَبْ ... وَالْجُوعِ ، وَالْهَمِّ ، وَشِدَّةِ التَّعَبْ

أَوْ شِدَّةِ النُّعَاسِ ، فَلْيَجْتَنِبِ ... عَقْدَ الدُّرُوسِ لِفَوَاتِ الْأَرَبِ

فَرُبَّمَا جَاءَ بِقَوْلٍ فَاسِدِ ... وَلَمْ يَكُنْ إِيرَادُهُ بِقَاصِدِ

★ ★ ★

وَالْعَالِمُ الْحَصِيفُ مَن يُوَقِّرُ ... طُلَّابَهُ الْأَنْبَاهَ مِمَّن ذُكِرُوا

بِالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَبِالتَّقَدُّمِ ... فِي السِّنِّ ، وَالْجَمِيعَ فَلْيَحْتَرِمِ

وَإِن يَقُمْ لِبَعْضِهِمْ تَكْرِيمَا ... فَحَسَنٌ مَا لَمْ يَكُنْ تَعْظِيمَا

وَالِالْتِفَاتُ مَعَ تَحْرِيكِ الْيَدِ ... يَحْسُنُ مَعْ قَصْدٍ بِهَٰذَا الْمَقْصَدِ

وَامْنَحْ جَمِيعَ الْحَاضِرِينَ حَظَّهُمْ ... مِن نَاظِرَيْكَ ، لَا تَخُصَّ بَعْضَهُمْ

وَبَعْضُهُمْ يَأْمُرُ قَبْلَ الِابْتِدَا ... بِالدَّرْسِ أَن يُقْرَأَ مِنْ آيِ الْهُدَىٰ

عِدَّةُ آيَاتٍ تَيَمُّناً بِمَا ... أَنْزَلَهُ اللهُ كِتَابًا مُحْكَمَا ٨٠٠

وَبَعْدَ ذَا يَدْعُوا دُعَاءَ الْخَاشِعِ ... بِكُلِّ لَفْظٍ مُسْتَجَادٍ جَامِعِ

وَإِن تَعَدَّدَتْ دُرُوسٌ قُدِّمَا ... أَشْرَفُهَا وَهْوَ اخْتِيَارٌ عُلِمَا

صَوَابُهُ ، وَاعْتَادَهُ الْأَوَائِلُ ... وَاخْتَارَهُ أَشْيَاخُنَا الْأَمَاثِلُ

وَلْيَحْذَرِ الْإِمْلَالَ وَالْإِخْلَالَا ... فِي الدَّرْسِ ، أَيْ يَقْصِدُ الِاعْتِدَالَا

فَمَنْ أَطَالَ دَرْسَهُ أَمَلَّا ... كَذَا إِذَا أَوْجَزَهُ أَخَلَّا

وَيَنْبَغِي أَن يَجْعَلَ الصَّوْتَ عَلَىٰ ... قَدْرِ احْتِيَاجِ الْحَاضِرِينَ ، ثُمَّ لَا

يَسْرُدْ كَلَامَهُ ، وَبِالتَّمَهُّلِ ... فَلْيُعْنَ وَهْوَ دَأْبُ خَيْرِ الرُّسُلِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا لَيْلٌ سَجَا ... وَ مَا صَبَاحٌ بِالْفَلَاحِ انْبَلَجَا

وَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بَعْدَ الِانْتِهَا ... مِن مَبْحَثٍ يُصْغِي لِأَرْبَابِ النُّهَىٰ

مِنَ التَّلَامِيذِ لِكَيْ يَسْتَفْهِمُوا ... عَنْ أَيِّ مُشْكِلٍ حَوَاهُ الْكَلِمُ

٨١٠

★ ★ ★

وَلْيَصُنِ الْمَجْلِسَ عَن قُبْحِ اللَّغَطْ ... فَإِنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى الْغَلَطْ

وَلْيَضْبِطِ النِّقَاشَ وَالْجِدَالَا ... وَلْيَمْنَعِ الْقِيلَ بِهِ وَالْقَالَا

وَلْيُرْشِدِ الطُّلَّابَ لِلتَّنَاصُحِ ... وَالنَّبْذِ لِلشَّحْنَاءِ وَالتَّفَاضُحِ

مُحَذِّرًا مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجَدَلْ ... لِيَبْتَغُوا بِالْعِلْمِ وَجْهَ اللهِ جَلْ

وَلْيَتَّخِذْ لَهُ نَقِيبًا فَطِنَا ... مُهَذَّبًا يُعِينُهُ مَا أَمْكَنَا

يُرَتِّبُ الطُّلَّابَ فِي الدُّخُولِ ... مُرَاعِيًا ذَا الْفَضْلِ وَالْقَبُولِ

يَسْتَنصِتُ الْحُضُورَ ، وَالنِّيَامَا ... يُوقِظُهُمْ وَيَقْطَعُ الْخِصَامَا

وَالْعَقْدُ لِلدُّرُوسِ فِي الْمَسَاجِدِ ... يُغْنِيكَ يَا شَيْخُ عَنِ الْمُسَاعِدِ

لِمَا لَهَا مِنْ حُرْمَةٍ عَظِيمَهْ ... وَقِيمَةٍ أَعْظِمْ بِهَا مِن قِيمَهْ

وَلْيُحْسِنِ الْإِنصَاتَ لِلسُّؤَالِ ... مِن أَجْلِ أَنْ يَفْهَمَهُ فِي الْحَالِ

وَإِن يَكُن لَا يَعْلَمُ الْجَوَابَا ... وَقَالَ: لَا أَدْرِي فَقَدْ أَجَابَا

وَقَدْ أَتَىٰ عَن بَعْضِ أَهْلِ الْفَهْمِ ... مَن قَالَ: «لَا أَدْرِي» فَنِصْفُ الْعِلْمِ

لِذَا يَقُولُ شَيْخُنَا «عَدُّودُ» ... مَنْ هُوَ فِي أَعْلَامِنَا مَعْدُودُ

قُبَيْلَ أَن يَشْرَعَ فِي الْجَوَابِ ... مُرَبِّيًا نَوَابِغَ الطُّلَّابِ

الْعِلْمُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنِي يُقْسَمُ ... حُسْنُ السُّؤَالِ يَا بَنِيَّ مِنكُمُ

نِصْفٌ، وَنِصْفُهُ لَدَيَّ وَهْوَ أَنْ ... أَقُولَ: «لَا أَدْرِي» رُزِقْتُمُ الزَّكَنْ

وَلْيَتَوَدَّدْ لِلْغَرِيبِ إِنْ حَضَرْ ... وَلَا يُضَايِقْهُ بِكَثْرَةِ النَّظَرْ

إِلَيْهِ فَالْقَادِمُ مِن بَعِيدِ ... يَحْتَاجُ لِلرِّفْقِ وَلِلتَّسْدِيدِ

وَإِنَّ لِلْقَادِمِ دَهْشَةً تُرَىٰ ... تُمَاطُ - لَا رَيْبَ - بِإِحْسَانِ الْقِرَىٰ

★ ★ ★

«وَاللَّهُ أَعْلَمُ» خِتَامٌ يُذْكَرُ ... فِي آخِرِ الدَّرْسِ بِهِ يُذَكَّرُ

جَمِيعُ مَنْ جَاؤُوا إِلَىٰ الدَّرْسِ بِمَا ... عَلَيْهِمُ الْمَوْلَىٰ تَعَالَىٰ أَنْعَمَا

مِن طَلَبِ الْعِلْمِ كَمَا قَدْ أَكْرَمَا ... بِذَاكَ مِن قَبْلُ أَبَانَا آدَمَا

يَمْنَحُهُ مَن شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ ... فَلْنَسْأَلِ الْمَزِيدَ مِنْ إِسْعَادِهِ

وَرُبَّمَا كَانَ الْخِتَامُ بِالدُّعَا ... مُصَلِّيًا عَلَىٰ أَجَلِّ مَن دَعَا

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا نَجْمٌ هَوَىٰ ... وَآبَ مِن بَعْدِ الْفِرَاقِ ذُو الْجَوَىٰ

وَإِن دَعَا الشَّيْخُ بِمَا قَدْ ثَبَتَا ... مُكَفِّرًا عَن لَغْوِهِ فَقَدْ أَتَىٰ

بِسُنَّةٍ تَكَادُ أَن تَغِيبَ عَنْ ... مَجَالِسِ التَّدْرِيسِ فِي هَٰذَا الزَّمَنْ

وَفِي مُكُوثِ الشَّيْخِ بَعْدَ الدَّرْسِ فِي ... مَكَانِهِ نَفْعٌ كَبِيرٌ فَاعْرِفِ

مِنْهَا سُؤَالُ الشَّيْخِ عَنْ أَحْوَالِ ... مِنِ اخْتِصَاصِ صَاحِبِ السُّؤَالِ

أَوْ عَنْ أُمُورِ جَمَّةٍ لَا تَتَّصِلْ ... بِالدَّرْسِ كَالسُّؤَالِ عَنْ أَمْرٍ مُخِلّْ

أَوِ اسْتِشَارَةٍ ، أَوِ اجْتِنَابِ ... تَزَاحُمٍ عَلَيْهِ عِندَ الْبَابِ

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ مَعَ طُلَّابِهِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

وَمِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الْآدَابِ ... إِخْلَاصُهُ لِلْوَاحِدِ الْوَهَّابِ

فِي نَشْرِهِ الْعِلْمَ ، وَإِظْهَارِ الْهُدَىٰ ... وَطَمْسِهِ الْجَهْلَ ، وَكَبْتِهِ الْعِدَا

وَالْعَالِمُ الْحَاذِقُ مَن يُرَغِّبُ ... طُلَّابَهُ فِي الْعِلْمِ ، إِذْ يَحْتَسِبُ

تَعْلِيمَهُمْ لِلَّهِ جَلَّ ، يَعْتَنِي ... بِكُلِّ طَالِبِ نَبِيهِ زَكِنِ

وَمَا لِنَفْسِهِ يُحِبُّ فَلْيُحِبْ ... لَهُمْ ، وَيُعْنَىٰ دَائِماً بِالْمُغْتَرِبْ

يُوصِي الْجَمِيعَ ، يَبْذُلُ الْإِحْسَانَا ... لَهُمْ ، وَيُحْيِي فِيهِمُ الْإِيمَانَا

يُثْنِي عَلَى الْمُحْسِنِ ، وَالْمُسِيئَا ... يُرْشِدُهُ مِنْ أَجْلِ أَن يَفِيئَا

لِلرُّشْدِ ، دُونَ الْعُنفِ وَالتَّعَسُّفِ ... وَإِنَّمَا بِالرِّفْقِ وَالتَّلَطُّفِ

وَلْيَجْتَهِدْ فِي بَسْطِهِ الْعِبَارَهْ ... دُونَ اكْتِفَاءٍ مِنْهُ بِالْإِشَارَهْ

مُصَوِّرًا دَقَائِقَ الْمَسَائِلِ ... مُسْتَرْشِداً بِأَقْرَبِ الدَّلَائِلِ

وَلْيُعْنَ بِالتَّمْثِيلِ وَالتَّعْلِيلِ ... مُسْتَشْهِداً بِثَابِتِ الدَّلِيلِ

وَعِندَ ذِكْرِ الِاخْتِلَافِ يُورِدُ ... أَقْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا يَقْصِدُ

مَعَ الثَّنَاءِ الْجَمِّ وَالتَّرَحُّمِ ... عَلَيْهِمُ فَهُمْ هُدَاةُ الْأُمَمِ

وَلْيُحْسِنِ الظَّنَّ بِهِمْ مُعْتَذِرَا ... عَمَّا لَهُمْ مِنْ خَطَإٍ قَدْ ظَهَرَا

يُـؤْخَـذُ مِن كُلِّ إِمَامٍ وَيُـرَدُّ ... إِلَّا الَّذِي عَنْهُ الدَّلِيلُ قَـدْ وَرَدْ

صَلَّى عَلَـيْهِ اللهُ كُلَّ آنِ ... مَاغَنَّتِ الْأَطْيَارُ فِي الْأَغْصَانِ

وَإِنْ أَرَادَ الشَّيْخُ أَن يَخْتَبِرَا ... طُلَّابَهُ فَحَسَنٌ كَيْ يَخْبُرَا

مَن فَهِمَ الدَّرْسَ وَمَن لَمْ يَفْهَمِ ... كَذَا أَتَىٰ فِي طُرُقِ التَّعَلُّمِ

وَلْيَأْمُرِ الطُّلَّابَ بِالْإِعَادَهْ ... فَإِنَّهَا مِن سُبُلِ الْإِفَادَهْ

تُثَبِّتُ الدَّرْسَ لَدَىٰ الطُّلَّابِ ... وَتُورِثُ الْقُدْرَةَ فِي الْخِطَابِ

وَلْيَأْخُذِ الْجَمِيعَ بِالتَّدَرُّجِ ... فِي كُلِّ عِلْمٍ فَهْوَ خَيْرُ مَنْهَجِ

مُقَدِّمًا ذِكْرَ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمْ ... وَلْيَمْنَعِ اسْتِكْثَارَهُمْ خَوْفَ السَّأَمْ

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَوَائِقِ الطَّلَبْ ... مَزِيدُ تَفْصِيلٍ، سَمَوْتَ بِالْأَدَبْ

وَإِن رَأَىٰ تَضَجُّرًا أَوْ مَلَلَا ... مِنْ أَحَدٍ أَوْصَاهُ أَن يُقَلِّلَا

مِن بَذْلِهِ الْجَهْدَ وَأَن يُرَوِّحَا ... عَن نَفْسِهِ بِمَا يُزِيلُ التَّرَحَا

وَلَا يُفَضِّلْ أَحَدًا عَلَىٰ أَحَدْ ... عِندَ التَّسَاوِي فَهْوَ أَمْرٌ يُنْتَقَدْ

وَلَا يُمَيِّزْ أَحَدًا إِلَّا بِمَا ... أُوتِيَ مِنْ عِلْمٍ وَفَضْلٍ عُلِمَا

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعَالِمَ الْأَرِيبَا ... مَن كَانَ مِن طُلَّابِهِ قَرِيبَا

مُرَاقِبًا أَحْوَالَهُمْ مِثْلَ الْأَبِ ... وَكَالطَّبِيبِ الْحَاذِقِ الْمُجَرَّبِ

يَزْجُرُهُمْ عَن صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ ... مُرَغِّبًا فِي صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ

يَدْعُوهُمُ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ... عِنْدَ تَلَاقِيهِمْ وَالِافْتِرَاقِ

يَسْعَىٰ لَهُمْ فِي سَائِرِ الْمَصَالِحِ ... فَهْوَ لَهُمْ مَا عَاشَ خَيْرُ نَاصِحِ

يُعِينُهُمْ دَومًا عَلَىٰ النَّوَائِبِ ... مُذَلِّلاً لِأَكْثَرِ الْمَصَاعِبِ

يَسْأَلُ عَنْ غَائِبِهِمْ مَاسَبَبُ ... غِيَابِهِ : هَلْ سَفَرٌ أَوْ وَصَبُ

أَوْ غَيْرُ هَٰذَيْنِ مِنَ الْأَسْبَابِ ... وَالْمَرْءُ عُرْضَةٌ لِكُلِّ عَابِ

فَإِن يَكُن مُسَافِرًا تَفَقَّدَا ... أُسْرَتَهُ، أَكْرِمْ بِهَٰذَا سُؤْدَدَا

أَوْ عَادَهُ إِن كَانَ مُدْنَفًا ، وَمَنْ ... بِهِ فُتُورٌ رَدَّهُ إِلَىٰ السَّنَنْ

وَزِينَةُ الْعَالِمِ فِي التَّوَاضُعِ ... فَالزُّهْوُ وَالْعِلْمُ ذَوَا تَدَافُعِ

الْـفَصْلُ الـرَّابِـعُ

فِي ذِكْرِ أَهَـمِّ مَا يَنْبَغِي أَن يُعْنَىٰ بِـهِ طَالِبُ الْحَدِيثِ وَالْمُحَدِّثُ. وَذِكْرِ أَهَمِّ تَصَانِيـفِ الْحَدِيثِ وَعُلُومِهِ، وَبَـيَانِ أَهَمِّ الْآدَابِ مَعَ كُتُبِ الْعِلْمِ عَامَّـةً. وَذِكْرِ أَشْهَرِ قَوَاعِدِ الضَّبْطِ وَالتَّدْوِيـنِ

وَفِـيـهِ مَطْلَبَانِ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَـمِّ مَا يَنْبَغِي أَن يُعْـنَىٰ بِـهِ طَالِبُ الْحَدِيثِ والْمُحَدِّثُ.

مَا مَرَّ مِن مَحَـاسِنِ الْآدَابِ ... يَشْمَلُ قَـطْـعًا سَائِـرَ الطُّلَّابِ

وَمِنْـهُمُ طُلَّابُ عِلْـمِ الْأَثَـرِ ... فَكَـمْ لَـهُمْ فِي نَشْرِهِ مِنْ أَثَـرِ

وَثَـمَّ آدَابٌ بِـهَا يَـنْـفَـرِدُ ... أَرْبَـابُـهُ، بِـهَا الـنُّـفُـوسُ تَسْعَدُ

أَكْـثَرُهَا ـ اعْلَمْ ـ لَمْ يَعُـدْ مَوْجُودَا ... فِي جِيلِنَا هَـٰذَا، وَلَـنْ يَـعُودَا

قَـطْـعًا؛ لِأَنَّ زَمَنَ الـرِّوَايَـهْ ... قَدِ انـقَضَىٰ فَلْتَحْسُنِ الدِّرَايَـهْ

بِتِلْكُمُ الْمُصَنَّفَاتِ الزَّاخِـرَهْ ... وَمَا حَـوَتْهُ مِنْ عُلُـومٍ زَاهِـرَهْ

فَبِالصَّحِيحَيْنِ ابْـدَأَنْ، وَقَدِّمِ ... سِفْرَ الْبُخَـارِيِّ فَسِفْرَ مُسْلِمِ

وَثَـنِّ مِن بَعْـدِهِمَـا بِالسُّـنَنِ ... مُبْـتَدِئًا بِالـتِّرْمِذِيِّ الْـمُتْـقِنِ

لِأَنَّـهُ يَحْـوِي الْخِلَافَ الْعَـالِي ... وَمَا عَلَـيْـهِ مَـعْـقِـدُ الْأَعْـمَالِ

مُبَيِّنًا مَرَاتِبَ الْحَـدِيـثِ ... لِأَنَّ ذَاكَ مَقْـصِدُ التَّحْـدِيثِ

كَـذَا الْإِشَارَةُ إِلَىٰ الشَّوَاهِـدِ ... وَغَيْـرِهَـا مِنْ دُرَرِ الْـفَرَائِـدِ

وَفِيهِ مِن نَقْدِ الرِّجَالِ دُرَرُ ... وَمِنْ عُلُومٍ كَاللَّآلِي تَزْهَرُ

وَمَن يَكُن فِي بَيْتِهِ يَنتَفِعُ ... بِمَا حَوَاهُ فَهُوَ بَدْرٌ يَسْطَعُ

كَأَنَّمَا فِيهِ نَبِيٌّ يَخْطُبُ ... وَهْوَ وَلَا غَرْوَ كِتَابٌ عَجَبُ

وَجَامِعٌ مِنْ أَعْظَمِ الْجَوَامِعِ ... بِهِ مِنَ الْمَنقُولِ كُلُّ نَافِعِ

وَاعْنَ بِشَأْنِ السُّنَنِ الرِّوَاءِ ... أَيْ لِأَبِي دَاوُدَ فَالنَّسَائِي

خِتَامُهَا سِفْرُ فَتَىٰ قَزْوِينِ ... وَهٰذِهِ السِّتَّةُ حِصْنُ الدِّينِ

وَبَعْدَ ذَا يَحْسُنُ بِالطَّالِبِ أَنْ ... يُعْنَىٰ بِسِفْرِ مَالِكٍ نَجْمِ السُّنَنْ

أَعْنِي الْمُوَطَّأَ وَمَا قَدْ أَوْدَعَهْ ... مِن دُرَرِ الْفِقْهِ الْحِسَانِ الْمُمْتِعَهْ

وَمِن صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ اسْتَفِدْ ... لَكِنَّ ذَا الْكِتَابَ جُلُّهُ فُقِدْ

وَبِالصَّحِيحِ لِابْنِ حِبَّانَ اعْتَنِ ... وَالْفَارِسِيُّ كَمْ بِشَأْنِهِ عُنِي

رَتَّبَهُ فِي سِفْرِهِ « الْإِحْسَانِ » ... أَحْسَنَ فِيهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ

وَالسُّنَنِ الْكُبْرَىٰ مَعَ الْمُسْتَدْرَكِ ... كَمْ بِهِمَا مِنْ غَامِضٍ لَمْ يُدْرَكِ

وَمِن كُنُوزٍ بِهِمَا قَدْ غُمِرَتْ ... وَبِالْأَسَانِيدِ الطِّوَالِ احْتَجَبَتْ

إِبْرَازُهَا يَتِمُّ بِالتَّحْقِيقِ ... فَهَلْ لِذَا التَّحْقِيقِ مِن فَرِيقِ

مِمَّن لَهُمْ دِرَايَةٌ بِالْعِلَلِ ... وَطُرُقِ الْأَدَاءِ ، وَالتَّحَمُّلِ

وَبِالْمَسَانِيدِ اشْتَغِلْ كَمُسْنَدِ ... إِمَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُمَجَّدِ

وَبِالْمُصَنَّفَيْنِ لِلصَّنْعَانِي ... وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ذِي الْإِتْقَانِ

وَمُسْنَدِ الْبَزَّارِ ، وَالْمَعَاجِمِ ... لِلطَّبَرَانِيِّ ، وَسِفْرِ الدَّارِمِي

وَاحْتَفِ بِالْأَفْرَادِ ، وَالْوُحْدَانِ ... وَكُتُبِ التَّخْرِيجِ ، وَالْبُلْدَانِ

كَذَاكَ بِالْأَجْزَاءِ ، وَالْأَطْرَافِ ... وَكُتُبِ الزَّوَائِدِ الظِّرَافِ

وَكُتُبِ الْمُشْكِلِ ، وَالْإِعْرَابِ ... وَالنَّسْخِ ، وَالْغَرِيبِ ، وَالْأَسْبَابِ

وَكُتُبِ الْمُصْطَلَحِ الْمُحَرَّرَهْ ... وَكُتُبِ التَّرَاجِمِ الْمُعْتَبَرَهْ

وَاحْفِلْ إِذَا رُمْتَ ازْدِيَاداً بِالْعِلَلْ ... وَهُوَ عَسِيرٌ دُونَهُ وَخْزُ الْأَسَلْ

وَأَمْعِنِ النَّظَرَ فِي الشُّرُوحِ ... كَالْفَتْحِ كَمْ بِهِ مِنَ الْفُتُوحِ

وَاعْنَ بِالِاسْتِذْكَارِ وَالتَّمْهِيدِ ... كَمْ بِهِمَا مِن مَبْحَثٍ فَرِيدِ

وَغَيْرِهَا مِن سَائِرِ الْأَسْفَارِ ... يُخْطِئُهَا الْعَدُّ مَدَى الْأَعْصَارِ

الْمَطْلَبُ الثَّانِي

فِي بَيَانِ أَهَمِّ الْآدَابِ مَعَ كُتُبِ الْعِلْمِ عَامَّةً ، وَذِكْرِ أَشْهَرِ قَوَاعِدِ الضَّبْطِ وَالتَّدْوِينِ .

وَآلَةُ الْعِلْمِ الْكِتَابُ فَاحْتَفِ ... بِهِ لِتَرْقَىٰ فِي سَمَاءِ الشَّرَفِ

خَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ يُتْحِفُ ... قَارِئَهُ بِكُلِّ مَا يُسْتَظْرَفُ

نِعْمَ الْأَنِيسُ لَا تَرَىٰ مِنْهُ الدَّخَلْ ... خَيْرُ قَرِينٍ وَنَزِيلٍ إِنْ حَفَلْ

بِكُلِّ مَا يُفَصِّلُ الْأَحْكَامَا ... وَيَشْرَحُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَا

أَوْ كَانَ فِي بَيَانِ عِلْمٍ نَافِعِ ... مِنْ آلَةٍ ، وَكُلِّ أَمْرٍ مَاتِعِ

وَكَمْ كِتَابٍ بِالضَّلَالِ يَطْفَحُ ... وَبِالسُّمُومِ وَالرَّزَايَا يَنْضَحُ

فَلْيَكُنِ اقْتِنَاؤُكَ الْكِتَابَا ... وَسِيلَةً تُحَقِّقُ الرِّغَابَا

لَا أَن تَرَاهُ فِي الرُّفُوفِ مُدْبِرَا ... وَلَمْ تَكُنْ حَتَّىٰ اسْمَهُ مُسْتَحْضِرَا

وَاضْبِطْهُ بِالْعَرْضِ عَلَى الشُّيُوخِ ... مَنْ عُرِفُوا بِالْفَهْمِ وَالرُّسُوخِ

ثُمَّ عَلَى الْأُصُولِ بِالْمُقَابَلَهْ ... صَحِّحْ نُصُوصَهُ فَذَا لَا مِثْلَ لَهْ

بِهِ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ وَثَّقُوا ... أَسْفَارَهُمْ وَكُلَّ حَرْفٍ دَقَّقُوا

وَكُلُّ أَمْرٍ يَا فَتَىٰ ذِي بَالِ ... فَابْدَأْ بِـ«بِسْمِ اللَّهِ» ذِي الْجَلَالِ

مُثَنِّياً بِحَمْدِهِ مُصَلِّيَا ... مُسَلِّمًا عَلَى خِتَامِ الْأَنْبِيَا

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللَّهُ مَا ... غَرَّدَتِ الْأَطْيَارُ فِي جَوِّ السَّمَا

وَفِي الْحَوَاشِي دَوِّنِ التَّعْلِيقَا ... وَالْخَطَّ حَسِّنْ ، لَا يَكُنْ دَقِيقَا

وَالضَّبْطُ بِالْحَرْفِ هُوَ الْمُخْتَارُ ... طَبَّقَهُ أَئِمَّةٌ كِبَارُ

وَالضَّبْطُ بِالشَّكْلِ طَرِيقُ الْأَكْثَرِ ... وَيَكْثُرُ التَّصْحِيفُ فِيهِ فَاحْذَرِ

وَالْحَاءُ لِلشَّكِّ ، وَلِلتَّحْوِيلِ ... عِندَ أُولِي التَّحْدِيثِ فَافْهَمْ قِيلِي

وَ(صَحَّ) لِلتَّصْحِيحِ أَمَّا حَرْفُ (لَا) ... فَلِلزِّيَادَاتِ ، بَلَغْتَ الْأَمَلَا

وَإِنْ حُرُوفٌ سَقَطَتْ أَوْ أَسْطُرُ ... تُلْحَقْ وَفِي حَاشِيَةٍ تُسَطَّرُ

مِن جِهَةِ الْيَمِينِ وَهْيَ اللَّحَقُ ... تَسْمِيَةٌ بِنَصِّ الْأَصْلِ يُلْحَقُ

وَمَيِّزِ الْأَبْوَابَ وَالتَّرَاجِمَا ... بِحُمْرَةٍ وَنَحْوِهَا مُعَلِّمَا

بِذَلِكَ اللَّوْنِ عَلَى الْأَسْمَاءِ ... وَنَحْوِهَا مِنْ أَشْهَرِ الْآرَاءِ

وَمِثْلُهَا الْأَبْوَابُ ، وَالْفُصُولُ ... كَذَلِكَ الْأَعْدَادُ ، وَالْمَنْقُولُ

مِن نَصِّ آيَةٍ وَمِنْ حَدِيثٍ أَوْ ... شَوَاهِدٍ مِمَّا الرُّوَاةُ قَدْ رَوَوْا

وَكَبِّرِ الْخَطَّ إِذَا تَعَذَّرَا ... لَوْنٌ وَذَا فِي الْكُتْبِ قَدْ تَقَرَّرَا

وَقَدْ خَلَتْ فِي زَمَنِ الرِّوَايَهْ ... وَزَمَنِ التَّحْدِيثِ وَالدِّرَايَهْ

آدَابُ تَدْوِينٍ طَوَاهَا الزَّمَنُ ... وَبَعْثُهَا فِي عَصْرِنَا لَا يُمْكِنُ

بَعْدَ اخْتِرَاعِ آلَةِ الطِّبَاعَهْ ... وَغَيْرِهَا مِنْ أَضْرُبِ الصِّنَاعَهْ

قَدْ جَاءَ فِي «أَلْفِيَّةِ الْعِرَاقِي» ... تَفْصِيلُهَا فِي أَحْسَنِ السِّيَاقِ

وَفِي شُرُوحِهَا مِنَ التَّفْصِيلِ ... مَا فِيهِ إِيضَاحٌ مَعَ التَّمْثِيلِ
وَإِن بَلَغْتَ فِي الْقِرَاءَةِ أَوِ الـ ... ـعَرْضِ عَلَى الشَّيْخِ إِلَى فَصْلِ فُصِلْ
عَن سَابِقٍ ، أَوْ مَبْحَثٍ مِنْهُ فَرَغْ ... مُصَنَّفٌ ، فَاكْتُبْ إِزَاءَهُ « بَلَغْ »
أَوْ بَلَغَ الْعَرْضُ ، وَبَعْضٌ يَذْكُرُ ... مِن بَعْدِهِ اسْمَهُ ، وَهَذَا يَندُرُ

★ ★ ★

وَدُمْ عَلَى تَعْظِيمِ ذِي الْجَلَالِ ... نُطْقًا وَخَطًّا سَائِرَ الْأَحْوَالِ
مِثْلُ « تَعَالَى » وَ« تَبَارَكَ اسْمُهُ » ... وَ« جَلَّ شَأْنُهُ » وَ« عَزَّ حُكْمُهُ »
وَاحْذَرْ مِنَ الرَّمْزِ بِحَرْفِ الصَّادِ ... إِذَا تَلَفَّظْتَ بِذِكْرِ الْهَادِي
فَالرَّمْزُ - يَا بُنَيَّ - مِن سُوءِ الْأَدَبْ ... مَعَ الَّذِي تَوْقِيرُهُ حَتْمًا وَجَبْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا تَالٍ تَلَا ... وَمَا تَسَامَى ذِكْرُهُ بَيْنَ الْمَلَا
ثُمَّ عَنِ الصَّحْبِ تَرَضَّ إِن يَرِدْ ... ذِكْرٌ لَهُمْ مِن دُونِ رَمْزٍ ، وَابْتَعِدْ
عَنْ رَمْزِ « رَضَّ » رَضَّ رَبِّي عُنُقَا ... مَنْ سَبَّهُمْ أَلَا فَسُحْقًا سُحْقَا
ثُمَّ عَلَى الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ ... فَلْتَتَرَحَّمْ يَا أَخَا الْإِسْلَامِ
وَاحْرِصْ عَلَى تَارِيخِ مَا كَتَبْتَا ... فَهُوَ مِنَ التَّوْثِيقِ لَوْ فَطِنْتَا
وَبِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فَاخْتِمِ ... عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْأَعْظَمِ
وَاعْتَادَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْخِتَامِ ... إِتْيَانَهُمْ بِـ « تَمَّ » لِلْإِتْمَامِ
وَبِالْإِجَازَاتِ احْتَفِلْ وَبَادِرِ ... بِأَخْذِهَا عَنْ كُلِّ شَيْخٍ مَاهِرِ

وَلَا تُعِرْ أَيَّ كِتَابٍ نَادِرِ ... إِلَّا لِخِلٍّ ذِي وَفَاءٍ ظَاهِرِ

وَلْيَكُنِ الْكِتَابُ فِي صِيَانَهْ ... مُنَزَّهًا عَنْ طُرُقِ الْإِهَانَهْ

وَلَا تَضَعْ نَظَّارَةً أَوْ قَلَمَا ... فَوْقَ كِتَابِ رَبِّنَا، وَعَظِّمَا

وَمِثْلُهُ كُلُّ كِتَابٍ اشْتَمَلْ ... عَلَىٰ نُصُوصٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ

أَوْ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ... مِن كُلِّ مَا صَحَّ عَنِ الْأَعْلَامِ

وَإِنَّ بَلَّ صَفَحَاتِ الْمُصْحَفِ ... بِالرِّيقِ لِلتَّفْتِيشِ جِدُّ مُؤْسِفِ

لِأَنَّهُ مِنْ أَسْوَءِ الْآدَابِ مَعْ ... كَلَامِ مَنْ أَنزَلَهُ لِيُتَّبَعْ

لَوْ بَلَّ شَخْصٌ يَا أُخَيَّ إِصْبَعَا ... بِرِيقِهِ ثُمَّ أَمَرَّ الْإِصْبَعَا

عَلَىٰ لِبَاسِ وَاحِدٍ مِنَّا ، فَهَلْ ... يَقْبَلُ ذَا كَلَّا ، فَرُبَّمَا تَفَلْ

عَلَيْهِ ، أَوْ مَدَّ يَدًا لِيَصْفَعَا ... جَبِينَهُ ، أَوْ عَضَّ تِلْكَ الْإِصْبَعَا

وَلْيَكُنِ التَّرْتِيبُ بِاعْتِبَارِ ... أَشْرَفِهَا ، فَاجْعَلْ كِتَابَ الْبَارِي

أَعْلَىٰ الْجَمِيعِ ، وَاجْعَلِ التَّفْسِيرَا ... أَسْفَلَهُ ، أَكْرِمْ بِذَا تَقْدِيرَا

لِوَحْيِ ذِي النِّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ ... الْمُسْتَعَانِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

وَهَكَذَا الْأَشْرَفُ فَالْأَشْرَفُ فِي ... تَرْتِيبِكَ الْعُلُومَ فَادْأَبْ وَاحْتَفِ

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ أَشْهَرِ عَوَائِقِ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا

وَإِن شَرَعْتَ يَا فَتَىٰ فِي الطَّلَبِ ... مُسْتَبْصِراً بِالْمَنْهَجِ الْمُنْتَخَبِ

ثُمَّ تَحَلَّيْتَ بِحُسْنِ الْأَدَبِ ... مُمْتَثِلاً فِي رَغَبٍ وَرَهَبِ

فَاحْذَرْ مِنَ الْعَوَائِقِ الْكَثِيرَهْ ... لَاسِيَّمَا فِي الْأَعْصُرِ الْأَخِيرَهْ

وَهِيَ قِسْمَانِ : فَقِسْمٌ قَدْ ذُكِرْ ... فِي كُتُبِ الْعِلْمِ الَّتِي لَا تَنْحَصِرْ ٩٨٠

ثَانِيهِمَا : عَوَائِقُ الزَّمَانِ ... وَهْيَ الَّتِي تَحْدُثُ كُلَّ آنِ

وَالْبَدْأُ أَوَّلاً بِمَا قَدْ وَرَدَا ... فِي كُتُبِ الْعِلْمِ هُدِيتَ لِلْهُدَىٰ

مُقْتَصِرًا عَلَىٰ أَهَمِّ مَا ذُكِرْ ... فِي تِلْكُمُ الْكُتُبِ ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

أَسْوَأُهَا - بُنَيَّ - تَرْكُكَ الْعَمَلْ ... بِمَا عَلِمْتَ ، وَهْوَ أَكْبَرُ الْخَلَلْ

وَمِثْلُهُ قَصْدُكَ غَيْرَ اللهِ ... بِهِ ، وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَنَاهِي

حَذَارِ أَن تَطْلُبَهُ لِمَنصِبِ ... وَغَيْرِهِ مِنْ غَرَضٍ وَمَأْرِبِ

بَعْدَهُمَا الْأَخْذُ عَنِ الصِّغَارِ ... فِي الْعِلْمِ ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْكِبَارِ

كَذَاكَ نَبْذُ الْمَنْهَجِ الْأَصِيلِ ... فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِلَا دَلِيلِ

كَعَدَمِ الْأَخْذِ عَنِ الْأَعْلَامِ ... وَالْخَوْضِ فِي أَسْفَارِهِ الْعِظَامِ

مِن دُونِمَا تَدَرُّجٍ ، وَلَا بَصَرْ ... بِآلَةٍ تُعِينُهُ عَلَى النَّظَرْ

فِيمَا حَوَتْهُ هَذِهِ الْأَسْفَارُ ... مِنَ الْغَوَامِضِ الَّتِي يَحَارُ
فِيهَا الْحِجَىٰ ، ثُمَّ مِنَ النَّوَازِلِ ... تَصَدُّرُ الْجُهَّالِ فِي الْمَحَافِلِ
كَذَا التَّهَافُتُ عَلَى التَّصْنِيفِ ... وَجُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّزْيِيفِ
كَمَا مَضَىٰ - بُنِيَ - فِي التَّقْدِيمِ ... فَلْتَنْأَ عَنْ ذَا الْمَسْلَكِ الْعَقِيمِ
وَبَعْضُهُمْ لِجَهْلِهِ قَدْ جَعَلَهْ ... طَرِيقَ تَحْصِيلٍ وَذَا مِنَ الْبَلَهْ
وَبَعْضُهُمْ تَرَاهُ فِي تَنَقُّلِ ... بَيْنَ الشُّيُوخِ وَهْوَ لَمْ يُحَصِّلِ
مِنْ عِلْمِهِمْ شَيْئًا ، وَكَالْمُنْبَتْ ... أَصْبَحَ ، مَعْ تَضْيِيعِهِ لِلْوَقْتِ
وَبَعْضُهُمْ يَشْرَعُ فِي فُنُونِ ... كَثِيرَةٍ تُفْضِي إِلَى الْفُتُونِ
بِالِانْقِطَاعِ عَنْ حَيَاةِ الْعِلْمِ ... وَهَلْ كَمِثْلِ الْعِلْمِ يَا ذَا الْفَهْمِ
فَالْعِلْمُ لَا يُؤْخَذُ جُمْلَةً وَلَا ... يَسْطِيعُ ذَاكَ بَشَرٌ فَلْتَعْقِلَا
وَمَنْ يَجِئْ إِلَى دُرُوسٍ تُعْقَدُ ... فِي أَعْوَصِ الْعُلُومِ وَهْوَ يَفْقِدُ
أَدْنَى الْمُقَدِّمَاتِ فِي الْعُلُومِ ... يَغْرَقْ بِشَطِّ لُجِّهَا الطَّمُومِ
وَهِيَ الَّتِي تُعْرَفُ - يَاذَا - بِالْأُسُسْ ... فِي ثَالِثِ الْفُصُولِ جَاءَتْ يَانَدُسْ
مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ بِلَا تَدَرُّجِ ... كَمَنْ يَرُومُ السَّطْحَ دُونَ الدَّرَجِ
فَكُلُّ عِلْمٍ غَامِضٍ رَفِيعِ ... فَإِنَّهُ بِالْمَوْضِعِ الْمَنِيعِ
لَا يُرْتَقَىٰ إِلَيْهِ إِلَّا عَنْ دَرَجْ ... مِنْ دُونِهِ بَحْرٌ طَمُومٌ وَلُجَجْ

وَلَا يَنَالُ ذُرْوَةَ الْغَايَاتِ ... إِلَّا عَلِيمٌ بِالْمُقَدَّمَاتِ}

وَمَن يَكُن بِالْكِبْرِ قَدْ تَدَثَّرَا ... وَبِالْغُرُورِ - يَا بُنَيَّ - ائْتَزَرَا

وَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ ، فَكَبَّرِ ... عَلَيْهِ أَرْبَعًا ، وَبِالْمُقْتَدِرِ

سُبْحَانَهُ لُذْ رَاغِبًا ، وَسَلْهُ أَنْ ... تَسْلَمَ مِن شَرِّ الرَّزَايَا وَالْمِحَنْ

فَهَذِهِ الْخِلَالُ لِلْحِرْمَانِ ... تُفْضِي - فَجَانِبْهَا - وَلِلْخُسْرَانِ

ثُمَّ دَعِ التَّسْوِيفَ وَالْأَمَانِي ... وَاطَّرِحَنْ كَذَلِكَ التَّوَانِي

وَاجْتَنِبِ الْوُقُوعَ فِي الْعِصْيَانِ ... فَإِنَّهُ مَجْلَبَةُ النِّسْيَانِ

لَا يَقْتَرِبْ مِنكَ نُزُولُ الْهِمَّهْ ... إِن كُنتَ عَاشِقًا صُعُودَ الْقِمَّهْ

★ ★ ★

أَمَّا عَوَائِقُ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ... فَإِنَّهَا - وَاللهِ - فِي تَكَاثُرِ

بَلْ هِيَ كَالطُّوفَانِ فِي اكْتِسَاحِهِ ... وَقَاصِفِ الرِّيحِ لَدَى اجْتِيَاحِهِ

قَدْ أَجْلَبَتْ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ ... بِكُلِّ صَائِلٍ عَلَى الْأَحْلَامِ

تَفَنَّنَتْ فِي الْمُغْرِيَاتِ الصَّارِفَهْ ... وَالْمُلْهِيَاتِ الْفَاتِنَاتِ الزَّائِفَهْ

مِن قَنَوَاتٍ تَكْشِفُ الْمَسْتُورَا ... وَتُبْرِزُ الْمُحْتَقَرَ الْمَغْمُورَا

وَتَجْعَلُ الْقَدْمَ الْجَهُولَ عَالِمَا ... وَتُبْصِرُ الظُّلْمَ بِهَا وَالظَّالِمَا

نَاهِيكَ عَن شَبَكَةِ الْعَنَاكِبِ ... وَ مَا بِهَا مِنْ أَغْرَبِ الْغَرَائِبِ

فَإِنَّهَا عَلَى اسْمِهَا فَلْتَحْذَرِ ... مِنْ خَوْضِ بَحْرِهَا الْعَمِيقِ الْأَخْطَرِ

فَكَمْ بِهَا مِن نَافِعٍ وَهَابِطِ ... وَكَمْ بِهَا مِن صَاعِدٍ وَخَابِطِ

وَمِنْ عَوَائِقِ الزَّمَانِ الصُّحُفُ ... كَذَا الْمَجَلَّاتُ وَمَا يُكْتَشَفُ

مِن طُرُقِ الْإِلْهَاءِ وَالصَّوَارِفِ ... عَنِ نَافِعِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ

وَلَسْتُ مُنكِراً بِأَنَّ أَكْثَرَا ... هَٰذِي الْوَسَائِلِ مُفِيدٌ لِلْوَرَىٰ

إِن سُخِّرَتْ لِخِدْمَةِ الْإِسْلَامِ ... كَمَا أَتَىٰ عَنْ سَيِّدِ الْأَنَامِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَعْ سَلَامِهِ ... فِي مَبْدَأِ الْقَوْلِ وَفِي خِتَامِهِ

لَاسِيَّمَا مَيْدَانُ تِلْكَ الشَّبَكَهْ ... إِذِ اقْتِحَامُهُ جُزَافًا مَهْلَكَهْ

فُرْسَانُهُ الدُّعَاةُ فَلْيُشَمِّرُوا ... فِي نَشْرِ هَٰذَا الدِّينِ وَلْيُحَذِّرُوا

مِن كَيْدِ كُلِّ كَائِدٍ حَقُودِ ... وَشَرِّ كُلِّ خَائِنٍ حَسُودِ

وَلْيَدْحَضُوا مَا نَسَجُوا مِن بَاطِلِ ... وَشُبَهٍ تُذَاعُ فِي الْمَحَافِلِ

وَطَالِبُ الْعِلْمِ إِذَا مَا شَرَعَا ... فِي مَنْهَجٍ لَابُدَّ أَن يَتَقَطِّعَا

عَنْ كُلِّ صَارِفٍ مِنَ الصَّوَارِفِ ... وَكَمْ لِهَٰذَا النَّهْجِ مِن مُخَالِفِ

خَاتِمَةٌ

وَهَكَذَا أَتْمَمْتُ «عُدْةَ الطَّلَبْ» بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبْ

فَاشْتَمَلَتْ عَلَىٰ أَهَمِّ الْأُسُسِ لِذَٰلِكَ الْمَنْهَجِ عِندَ الْمُؤْتَسِي

بِمَن مَضَوا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّهْ الرَّاسِخِينَ السَّادَةِ الْأَئِمَّهْ

ثُمَّ تَتَبَّعْتُ الشُّرُوطَ الْمُكْمِلَهْ لِذَٰلِكَ الْمَنْهَجِ عِندَ الْكَمَلَهْ

وَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْ عَوَائِقِ الطَّلَبْ مَا فِيهِ تَبْصِيرٌ لِأَرْبَابِ الْأَرَبْ

كَذَٰلِكُمْ حَفَّتْ بِكَ الْآدَابُ كَأَنَّهَا الْكَوَاعِبُ الْأَتْرَابُ

دِثَارُهَا أُرْجُوزَةٌ مُحَبَّرَهْ بِمَا حَوَتْ مِن دُرَرٍ مُنتَثِرَهْ

وَمَهْرُهَا أَن تَتَحَلَّىٰ يَا فَتَىٰ بِهَا عَلَى الْفَوْرِ وَلَا تَسْأَلْ مَتَىٰ

فَغَذِّهَا بُنَيَّ بِالْعِبَادَهْ فَإِنَّهَا الطَّرِيقُ لِلسَّعَادَهْ

فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا وَفِي أُخْرَانَا بِذَٰلِكُمْ يَا قَوْمُ مَا أَحْرَانَا

كَمَا يَقُولُ الشَّيْخُ ذُو الْمَعَالِي مُحَمَّدٌ مَن نَعْتُهُ بِـ «عَالِ»

{اَلْعِلْمُ مِن دُونِ الْعِبَادَةِ هَبَا لَا يَسْتَقِرُّ فَحَرِ أَن يَذْهَبَا

وَالْعِلْمُ فِي التَّمْثِيلِ مِثْلُ الشَّجَرَهْ أَمَّا الْعِبَادَةُ فَمِثْلُ الثَّمَرَهْ

فَفَضْلُهُ مِن جِهَةٍ ، وَفَضْلُهَا مِن جِهَةِ : ثَمَرَةٌ وَأَصْلُهَا}

أَبْيَاتُهَا تَمَّتْ بِمَا اقْتَبَسْتُهُ مِنْ نُخَبِ النَّظْمِ الَّذِي جَمَعْتُهُ

ذُخْـرًا لِكُلِّ طَالِبٍ فَازَيَّـنَتْ أُرْجُوزَتِي بِحُسْنِهِ وَاكْتَمَلَتْ

جَعَلْـتُهُ ـ يَا صَاحِبِي ـ احْمِرَارَا مُـقْتَـفِيًا أَشْيَاخَـنَا الْأَخْـيَارَا

فِي أَرْضِ شِنقِيطَ بِـلَادِ الْعِلْمِ وَمَـهْيَعِ الْحِفْظِ وَحِـصْنِ الْفَهْمِ

★ ★ ★

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ الْإِتْـمَامِ مُـبْتَـهِلاً إِلَيْهِ فِي الْخِـتَامِ

أَن يَـهَبَ اللهُ لَهَا الْقَـبُولَا فَـلَمْ يَـزَلْ سُبْحَانَـهُ الْمَأْمُولَا

يَـا رَبُّ يَـا سَمِيعُ يَـا بَصِيـرُ يَـا مَنْ إِلَيْهِ تَـرْجِـعُ الْأُمُورُ

يَا حَيُّ يَا قَيُّـومُ يَا كَـرِيـمُ يَا بَـرُّ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيـمُ

إِلَيْكَ مِنْ حَوْلِي الضَّعِيفِ أَبْـرَأُ وَكُـلَّ مَنْ عَادَاكَ رَبِّي أَشْنَأُ

يَا رَبِّ وَفِّـقْنِي إِلَىٰ الرَّشَادِ وَمُـدَّنِي بِالْـعَوْنِ وَالْإِسْـعَادِ

أَصْلِحْ سَرِيـرَتِي ، وَأَخْلِصْ نِيَّتِي لِوَجْهِكَ الْـكَرِيـمِ وَاغْفِرْ حَوْبَتِي

يَا رَبِّ أَعْطِنِي وَلَا تَـحْرِمْـنِي رَبَّـاهُ أَكْـرِمْـنِي وَلَا تُـهِنِّي

وَافْـتَحْ لِقَلْـبِيَ الْبَلِـيدِ وَأَزِلْ عَنْـهُ غِشَاءَ الْجَهْلِ وَالْعَجْزَ الْمُذِلّْ

وَاغْفِـرْ لِمَنْ حَـقَّهُمَا قَـرَنْـتَا بِحَـقِّكَ الْأَعْظَـمِ إِذْ قَـضَيْتَا

ذَلِكَ فِي الْإِسْرَاءِ: ﴿رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ وَالْأَقْـرَبِـينَ كُـلَّهُمْ تَكَرُّمَا

وَاغْفِرْ لِأَشْـيَاخِي وَمَنْ أَحَبَّـنِي فِيـكَ وَمَنْ أَحْـبَبْتُـهُ، وَأَحْسِنِ

إِلَىٰ الْجَـمِيعِ وَاهْدِنَا إِلَىٰ الْهُدَىٰ وَادْفَعْ عَنِ الْأُمَّةِ أَسْبَابَ الرَّدَىٰ

أَعِـزَّهَا بِـدِيـنِكَ الْقَوِيـمِ ... وَأَعْلِهَا بِنَصْرِكَ الْعَظِيـمِ

رَبَّـاهُ وَفِّـقْنَا إِلَىٰ اقْـتِفَاءِ مَنْ ... حَـفِظْتَ دِينَكَ بِـهِمْ يَا ذَا الْمِنَنْ

مِن سَلَفِ الْأُمَّةِ مِمَّنِ اصْطُفُوا ... لِنَشْرِ دِيـنِكَ فَـنِـعْـمَ الشَّرَفُ

وَأَظْـهِـرَنْ لِلنَّاسِ مَن يُـجَدِّدُ ... دَعْوَتَـهُـمْ حَتَّىٰ يَـعُودَ الرَّشَدُ

وَتَسْعَـدَ الْأُمَّةُ بِاتِّـبَاعِ ... مِنْهَاجِـهِـمْ فِي سَائِـرِ الْأَصْـقَاعِ

وَصَـلِّ يَا رَبِّي عَلَىٰ الْمُخْتَارِ ... وَآلِهِ وَصَحْبِـهِ الْأَبْـرَارِ

كان الفراغ من نظمها وتبييض مسوّدتها قبيل غروب شمس يوم الثلاثاء الثاني عشر

من شهر صفر الخير من عام ١٤٢٦ هـ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِـمُّ الصَّالِحَاتُ

اَلْمُحْتَوَىٰ

العنوان	الصفحة
تقريظ : بقلم شيخنا العلّامة الشيخ محمد سالم بن محمد علّ بن عبدالودود ((عدّود)) الهاشميّ الشنقيطيّ .	هـ ـ ز
تقديم : بقلم معالي الشيخ : صالح بن عبدالله بن حُمَيد .	ط
تقديم : بقلم معالي الشيخ : عبدالله بن محمد المطلق .	ي ـ ك
مقدمة الناظم .	ل ـ ض
★ ★ ★	
متن أُرْجُوزة ((عُدَّةِ الطَّلَبِ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبِ)) .	ظ
استهلال الناظم ، والإشارة إلىٰ منهجه في هٰذه الأرجوزة .	١ ـ ٣
الباب الأول	
في فضل العلم وأهله وبيان أهمّ أسس التحصيل العلميّ ، وأن الحفظ أهمّ هٰذه الأسس ، وذكر أهمّ شروط تحصيل العلم .	٤ ـ ٣٥
وفيه خمسة فصول :	
الفصل الأول : في فضل العلم وأهله .	٤ ـ ٧
مطلب في ثمرات العلم الشرعيّ .	٨ ـ ١٠
الفصل الثاني : في تقسيم العلوم إلىٰ علوم الوسائل وعلوم المقاصد ، مع ذكر بعض الأقسام الداخلة في هٰذا التقسيم وبيان ما ينبغي أن يشتغل به طالب العلم قبل الشروع في سائر العلوم .	١١ ـ ١٤

العنوان	الصفحة
الفصل الثالث : في بيان أهمّ أسس التحصيل العلميّ .	١٥ - ١٨
الفصل الرابع : في بيان أن الحفظ أهمّ هذه الأسس بعد التلقي على أيدي أهل العلم .	١٩ - ٢٨
مبحث في التدوين الرسميّ للسنة النبوية على رأس المائة.	٢٤ - ٢٥
شبهة داحضة .	٢٦ - ٢٨
الفصل الخامس : في ذكر أهم شروط تحصيله .	٢٩ - ٣٥
★ ★ ★	
الباب الثاني	
في ذكر أهمّ آداب الطالب والمعلم ، وعوائق الطلب .	٣٦ - ٧٦
وفيه خمسة فصول :	
الفصل الأول : في ذكر أهمّ آداب الطالب مع شيخه .	٣٦ - ٤٢
الفصل الثاني : في ذكر أهمّ آداب الطالب في نفسه ، وأهم الآداب التي يتعامل بها الطلاب بينهم .	٤٣ - ٤٨
وفيه مطلبان :	
المطلب الأول : في ذكر أهمّ آداب الطالب في نفسه .	٤٣ - ٤٤
المطلب الثاني : في ذكر أهمّ الآداب التي يتعامل بها الطلاب بينهم .	٤٥ - ٤٨
الفصل الثالث : في ذكر أهمّ آداب الشيخ في نفسه ، وفي درسه ، ومع طلابه في سائر الأحوال .	٤٩ - ٦٢

العنوان	الصفحة
وفيه ثلاثة مطالب :	
المطلب الأول : في ذكر أهمّ آداب الشيخ في نفسه وكثير منها يشترك معه الطلاب فيها .	٤٩ - ٥٤
المطلب الثاني : في ذكر أهمّ آداب الشيخ في درسه .	٥٥ - ٥٩
المطلب الثالث : في ذكر أهمّ آداب الشيخ مع طلابه في سائر الأحوال .	٦٠ - ٦٢
الفصل الرابع : في ذكر ما ينبغي أن يُعْنىٰ به طالب الحديث والمحدث ، وذكر أهمّ التصانيف في الحديث وعلومه وبيان أهمّ الآداب مع كتب العلم عامة ، وذكر أشهر قواعد الضبط والتدوين .	٦٣ - ٦٩
وفيه مطلبان :	
المطلب الأول: في ذكر أهمّ ما ينبغي أن يُعْنىٰ به طالب الحديث والمحدث .	٦٣ - ٦٥
المطلب الثاني : في ذكر أهمّ الآداب مع كتب العلم عامة وذكر أشهر قواعد الضبط والتدوين .	٦٦ - ٦٩
الفصل الخامس : في ذكر أشهر عوائق طلب العلم والتحذير منها .	٧٠ - ٧٣
الخاتمة .	٧٤ - ٧٦
المحتوىٰ .	٧٧ - ٧٩